



مجلة فكريَة ثقافيَة يصدرها مرَة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ

العدد (٢١٩) المجلّد التاسع عشر (٦)
تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤

٢١٩
عدد ممتاز

في هذا العدد

ثلاث افتتاحيّات

الحسن بن طلال

محوران خاصّان

- ندوة
"أوروبا والمنطقة العربيّة: علاقة جديدة؟!
- محاضرة سامي هداوي التذكاريّة
د. برنارد سابيلا



منتــدى الفكــر العــربيّ

الرئيس والراعي
سموّ الأمير الحسن بن طلال
President & Patron
HRH Prince
El Hassan bin Talal

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
دوريات إهـداء

الأمـين العـام
Secretary General
وسـام شوكـت الزهـاوي
Wissam Shawkat Al-Zahawie

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العَلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العَلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.
٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.
٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.



صفحة ١٥



المنتدى

مجلة فكرية ثقافية يصدرها مرّة كل شهرين

منتدى الفكر العربي

المجلد التاسع عشر (٦)
تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٤

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٣/ ٢٠٠٣/ د)

المحتويات

العدد (٢١٩) المجلد التاسع عشر (٦) - تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٤






كلمة أولى

أ.د. همام غصيب
رئيس التحرير

لعلّ قُرّاءنا الأعزّاء قد لاحظوا أنّنا مُولعون بالمحاور والملفّات الخاصّة، لأنّها تفي موضوعاتنا حقّها طولاً وعرضًا وعمقًا. فنحن نفردُ مثلَ هذه المحاور والملفّات، بيْن الآونة والأخرى، لنِتاج سموّ رئيس المنتدى وراعيه؛ ولمؤتمراتِنا وندَواتِنا؛ وحتّى أحياناً للقاءاتِنا الشّهريّة.

في هذا العدد ثلاثةٌ من هذه المحاور والملفّات. الأوّل يشتملُ على ثلاث «افتتاحيّات» جديدة لسموّ الأمير الحسن. والثّاني يتناولُ الحوارَ العربيّ الأوروبيّ الذي عَقَدهُ منتدانا بالتّعاونِ مَعَ منتدى برونو كرايسكي/ڤيينا. أمّا الثّالث فهو مخصّص لمحاضرة تذكاريّة تكريماً لذكرى الرّاحل الكبير سامي هداوي. وكانتْ هذه مناسبةً مؤثّرة أدارَها سموّ الأمير الحسن بحضورِ جَمْعٍ غفير من أعضاء المنتدى وأصدقائه.

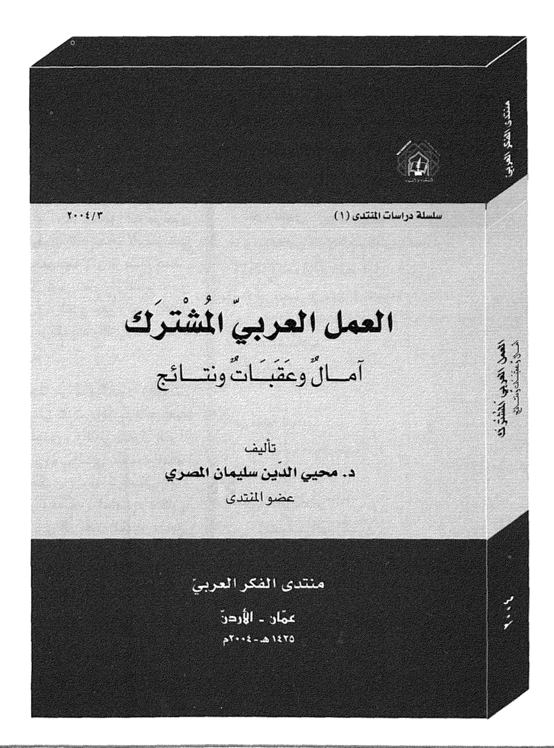
بقيَ أنْ أذكرَ أنّ هذا هو العددُ الأخيرُ للعام ٢٠٠٤. وهو يحملُ ما اعتَدْنا عليْه في نهايةِ كلّ سنة من شَذَراتٍ وخُلاصات. فكلّ عامٍ وأنتم بخيْرٍ وهناء. ■

جولة العدد

العدد (٢١٩) المجلّد التّاسع عشر (٦) - تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٤

صــدر حديثــاً

عــن منتدى الفكر العربي



ثـــلاث افتتاحيّات

الحسن بن طلال

١

يـا قُدْس! يـا قُدْس!
أوَ نسيْناكِ يا قُدْس؟! *

هنالك إجْماعٌ دوليّ على أنّ مدينةَ القدس، بيتَ المقدس، المدينةَ المقدّسة، تُشكّلُ أكبرَ عَقَبة أمامَ السّلام بيْن العربِ وإسرائيل. فلماذا أضحتْ مدينةُ السّلام عقبةً أمامَ السّلام؟

لقد كان جوْهرُ نظامِ الانتداب، كما عرضَتْهُ المادّةُ (٢٢) من ميثاق عُصبةِ الأمم، إنهاء العُرْف الدّوليّ القديم الذي كان يَقْضي بأنْ تؤولَ توابعُ الدّولةِ المحاربة المغلوبة إلى سيادة المحاربِ الغالِب، بصرْفِ النّظر عن رغَباتِ سكّانِ المنطقة المغلوبة. فنظامُ الانتداب كان يقتضي من الدّولةِ المنتدَبة التي تُعيّنُها دولُ الحلفاء الكبرى أنْ تمارسَ الانتداب باسم عُصبةِ الأمم، بمقتضى الأحكامِ المنصوصِ عليها في الانتداب مشفوعةً بموافقة مجلسِ العُصْبة.

بَيْدَ أنّ الانتدابَ على فلسطين لمْ يتضمّنْ أيَّ حُكْم يَمنحُ السّيادةَ الإقليميّةَ على أيّ جُزْء من فلسطين – بما في ذلك القدس – لمجلس العُصْبة، أو للعُصْبةِ نفسِها، أو لسُلطة الانتداب، أو للطّائفتيْن العربيّة أو اليهوديّة؛ بل كانت السّيادةُ الإقليميّةُ معطّلةً أو معلّقة في أثناء وجودِ الانتداب، أي حتّى ١٤ أيّار/مايو ١٩٤٨. وكان مقرّراً أنْ تبقى هذه السّيادةُ الإقليميّة مُعلّقةً إلى أنْ يستغنيَ سكّانُ الإقليم عن المساعدةِ والمشورةِ الإداريّة من سُلطةِ الانتداب. وحين قامتْ سلطاتُ الانتدابِ البريطانيّ بنقل الموْضوع الفِلَسطينيّ إلى هيئةِ الأُمم المتّحدة، نَقَلتْ تلقائيًّا موْضوعَ القدس والأماكنِ المقدّسة إلى الأروقةِ الدّوليّة. وحين تشكّلتْ لَجْنَةُ الأممِ المتّحدة الخاصّةُ المتعلّقةُ بفلسطين في أيّار/مايو عام ١٩٤٧ (UNSCOP)، قرّرت التّعامُلَ معَ مدينةِ القُدْس بوصْفِها كياناً منفصلاً يَخْضعُ لنظامٍ دوليّ خاصّ تديرُهُ الأممُ المتّحدة، ويُكلّفُ مجلسُ وصايةٍ بمباشرةِ مسؤوليّاتِ السّلطةِ الإداريّة نيابةً عن الأمم المتّحدة. أمّا بالنّسبةِ للأماكنِ المقدّسة، فبالرُّغم من اعتماد فرماناتِ

* نُشرت في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٣.



السّلطنة العثمانيّة وتشريعاتها للأماكن المقدّسة الصّادرة عامَيْ ١٨٥٢-١٨٥٣، إلاّ أنّ تعريفَ اللّجنة الخاصّة للأماكن المقدّسة كان مجرّدَ قوائمَ لهذه الأماكن، وليسَ أماكنَ مقدّسة يسري عليها تطبيقُ أُسس الوضع القائم؛ الأمر الذي أدّى إلى وجودِ تعريفٍ جديدٍ للأماكن المقدّسة لا يُفرّقُ بين أهميّةِ مكانٍ وآخر.

ومَعَ بروزِ وضْعٍ جغرافيّ سياسيّ جديد بعْدَ الحرب العربيّةِ الإسرائيليّة عام ١٩٤٨، قرّرت الجمعيّةُ العموميّةُ للأمم المتّحدة - بموجب قرار مؤرّخ ٩ كانون الأوّل/ديسمبر عام ١٩٤٩ - وجوبَ وضْعِ القدس تحت نظام دوليّ دائم يتوخّى ضمانات ملائمةً لحمايةِ الأماكن المقدّسة داخلَ القُدْس وخارجَها، وأيّدتْ بالتّحديد أحكاماً معيّنة في قرار التّقْسيم الصّادر في تشرين الثّاني/نوفمبر عام ١٩٤٧، خصوصاً أنّهُ «يجب أن تُعاملَ مدينةُ القدس بوَصْفِها كياناً منفصلاً تحت نظامٍ دوليّ خاصّ، تُديرُه الأممُ المتّحدة». وحالتْ هدنةُ نيسان/إبريل عام ١٩٤٩ بين الأردنّ وإسرائيل دون إقرارِ أو تنفيذِ أيّ حقّ مفترَض في السّيادةِ الإقليميّة على القدس. وبقيَ هذا الوَضْع حتّى حرب حزيران/يونيو عام ١٩٦٧.

ومنذ تلك الحرب وصدورِ قانونِ حمايةِ الأماكن المقدّسة الإسرائيليّ بُعَيْدَها، تَعدُّ إسرائيل نفسَها «الحارسةَ الحاليّةَ للأماكن المقدّسة في المدينةِ القديمة»، بالتّعاون مَعَ زعماء الطّوائفِ الدّينيّةِ الثّلاث. ويتعامى هذا الموْقف عن وضْعِ إسرائيلَ القانونيّ كوْنها دولةَ احتلال أنكرتْ أيَّ ضمٍّ للمدينةِ القديمة وضواحيها. وكان هذا ردًّا على وضع المدينة تحت نظامٍ دوليّ باعتبارها كياناً منفصلاً متمايزاً عن دوْلَتَي الأُردنّ وإسرائيل. ومنذ سنة ١٩٧١ عبّرت اليونسكو عن قلَقِها في شأن الحفاظ على المواقع المقدّسة في المدينة القديمة. وفي سنة ١٩٧٢ وافق مؤتمرٌ عقدَتْهُ هذه المنظّمةُ الدّوليّة على قرار «يُطْلب فيه على وجهِ الاستعجال» من إسرائيل أنْ تتّخذَ الإجراءاتِ الضّروريّةَ للحفاظِ الدّقيق على كُلّ المواقع والمباني والعقاراتِ الحضاريّةِ الأخرى، لا سيّما في مدينة القدس القديمة؛ وأنْ تمتنعَ عن إجراء أيّ حفريّات تنقيباً عن الآثار، وعن نقل المعالمِ الحضاريّة من مواضعها، وعن إجراء أيّ تغييراتٍ تطمسُ سماتِها وطابَعَها التّاريخيّ، خصوصاً المواضع الدّينيّة المسيحيّة والإسلاميّة. وما زالت إسرائيل تتجاهلُ هذا القرار، وتُصرّ على رفْض كلّ المقتَرحات المتعلّقة باستقلال مبانٍ أو مواقعَ دينيّةٍ معيّنة عن سيادةِ أيّ دولة.

أتوقّفُ عند هذه النّقطة لأكرّرَ كلمةَ حقّ كثيراً ما ردّدْتُها في المحافل العامّة، خاصّةً لأهلنا في المخيّمات، بأنّ الوضعَ القائمَ للمقدّسات كان قد نشأ ضمنَ ظروفٍ تاريخيّةٍ معيّنة؛ لكنْ ما أدعو إليه هو إدارة معنويّة للأماكن المقدّسة. وليس هنالك أيُّ بديلٍ في هذه الظّروفِ القاتمة عن مكاشفةِ جماهير الأُمّتَيْنِ العربيّةِ والإسلاميّة ومصارحتِها، خاصّةً **بعدَ أنْ تبلورتْ أمامنا الصّورُ الحالكة لِما آلتْ إليه أوضاعُ الأماكنِ المقدّسة في قُدس الأقداس، وأخطارُ التّصدُّعِ والتّهالك التي تتهدّد الحرمَ الشّريف في ظلّ الإهمال.**

هذا نداء للأمتين العربيّة والإسلاميّة من أجل المدينة المقدّسة. ففي القدس يقومُ ضَريح الشّريف الحسين بن علي، مَفجّر الثورةِ العربيّة الكبرى وقائدها، شاهداً على التزامه بمناصرة القضيّة الفلسطينيّة. وعلى عَتَبات المسجدِ الأقصى استُشهد الجَدّ المؤسّس الملك عبد الله بن الحسين. كما قاتل المغفور له بإذن الله الملك طلال بن عبد الله في سبيلِ حقوقِ عربِ فلسطين في القدس. وظلّ أخي الملك الحسين بن طلال، طيّب اللهُ ثراه، يحثّ طيلةَ حياتِه المؤمنين بالله على العمل في سبيلِ حلّ معضلةِ القدس القادرة على الجَمْع بين الشّعوب؛ لكنّها، لسوء الحظ، ما فتئتْ تفرِّقُ بين النّاس.

ولكم تترددُ على مسامعنا عباراتُ الوَضع الدائم في مسار السّلام، وكذلك الوَضع النهائيّ في المباحثات بين الأطراف العربيّة وإسرائيل. أودُّ أنْ أذكّر في هذا المقام بأنّ الوَضْعَ النّهائيّ يتبعُهُ وضعٌ دائم؛ وعبارةُ «وضع دائم» تنطبق على القدس، واللاجئين، والمستعْمَرات (المستوْطَنات)، كما تنطبق على الأمور عبْر القُطريّة، مثل الطّاقة والمياه والبيئة. ولأنّ مباحثاتِ السّلام على جميع المسارات قد ميّزتْ بيْنَ الخصوصيّةِ الفلسطينيّة الإسرائيليّة وخصوصيّةِ الدّول المانحة والمضيفةِ للاّجئين، علينا أنْ نتساءلَ عن مستقبَل حقّ العودة للاّجئين الفلسطينيّين ومصيرهم وعن تعويضِهم. كذلك ما مستقبلُ القدس؟ وما مستقبلُ سائر المدنِ الدّينيّة في عالَمنا؟ هل سيكون مستقبَلَ إجماع؟ أم مستقبلاً ظرْفيًّا محفوفاً بالأخطار والتّقلّباتِ الظّرْفيّة التي تميّزُ السّياسة؟

إنّ أهمّيّةَ إيجادِ سلطةٍ معنويّةٍ للأماكن المقدّسة تتجاوزُ المنظورَ التّجريديّ إلى النّاحيةِ العمليّةِ للأوضاع الحاليّةِ في مدينةِ القدس. فنحن لا نستطيع أنْ نتجاهلَ دوْرَ الأماكن المقدّسة هناك في تنظيمِ الفئاتِ الاجتماعيّةِ المختلفة وتأثيرَ ذلك على التطوّراتِ السّياسيّة في المدينة. لذلك، فإنّ أيّ تغييرٍ في البيئةِ الدّينيّة لهذه الفئات سيكون له انعكاساتٌ سياسيّة. فمن خلال السُّلطة الدّينيّة المعنويّة، نستطيعُ أن نبنيَ تصوّراً موْضوعيًّا لمستقبل مدينة القدس، آخذين بالحسبان تأثيرَ الأماكن الدّينيّة على المدينة - روحاً وقالباً - وعلى فئات المجتمع فيها. وكما هو واضح، فإنّ إدارةَ الأماكن المقدّسة ومفهومَ الوصاية عليها أوجدا قيادةً دينيّة وبيروقراطيّة تعتمدُ اعتماداً مباشَراً في السّيطرة على الأماكن المقدّسة. كما أنّ السّياحةَ الدّينيّة خَلقتْ فرصاً أفضل للدّخل الماليّ وعزّزتْ روحَ التّضامن الدّوليّ مَعَ المدينة المقدّسة؛ إضافةً إلى خلْق فرص للاستثمار في البنيةِ التّحتيّة للمدينة والتّوسُّع في المشروعات المتعلّقة بالسّياحةِ الدّينيّة. وإذا زدْنا على ذلك التّمويلَ الخارجيّ، وكذلك الأوْقاف لدعْمِ الشّؤونِ الدّينيّة، فإنّنا سننتهي إلى أنّ الاعتمادَ الاقتصاديّ للقدس لا يتعلّقُ بالمصادر المحلّيّة بقدَر ما هو عَلاقةٌ عبْر حدوديّة. وإنْ دلَّ ذلك على شيء، فإنّما يدلّ على الضّعْفِ النّسبيّ للسُّلطةِ السّياسيّة، حتّى ولو كانت سُلطةً محتلّة، في تسييرِ أمورِ المواطنين. إنّ هذه الخصوصيّةَ هي السّمة الرّئيسيّةُ لمدينة القدس، مدينة الأماكنِ المقدّسة؛ ومِنْ ثَمّ فليس باستطاعة أيّ سلطةٍ سياسيّة إلاّ أنْ تعترفَ بحاجتِها إلى القيادات الدّينيّة في المدينة لتكون وسيطةً بيْنها وبيْنَ المواطنين. وإنّ شبهَ الاستقلاليّة هذه لمدينة القدس هي الدّافعُ العمليّ لإيجادِ سُلطةٍ معنويّةٍ لجميع الأديان المتعلّقة بالأماكنِ المقدّسة. من هنا، قد يكونُ من المُجدي أنْ يشاركَ مجلسٌ دينيّ مؤلّفٌ من ممثّلين عن الدّياناتِ الإبراهيميّة الثّلاث في إيجادِ صيغةٍ توافُقيّة تُمكّنُ السّياسيّين من إيجادِ حلّ عادل للقدس، مدينةِ السّلام.

إنّ زهرةَ المدائن تستصرخُنا؛ فهي رمزٌ خالدٌ من رموزِ الحقّ في الصّراعِ الأزليّ بينَ الحقّ والباطل. و«القدسُ في الضّمير»: هذا عنوانُ المشروعِ الذي أطلقْتُهُ مَعَ الشّيخ محمّد شمس الدّين، رحمَهُ اللهُ رحمةً واسعة، لإبقاء القدس حيّةً في ضمائرنا وأفئدَتِنا. لذلك لمْ أتوانَ لحظةً قبل بضع سنين في تأسيس مشروع القدس التّوثيقيّ في الجمعيّة العلمية الملكيّة [الأردنيّة]، بالتّعاون مَعَ جامعةِ هارفرد الأمريكيّة؛ ذلك المشروعِ الذي يوثّقُ ملكيّة كلّ عقار، بل كلّ شبْر، في المدينة المقدّسة، بمحبّةٍ ودفء.

فلنْ ننساكِ يا قُدس! لنْ ننساكِ يا قُدسَ الأقداس!

■



٢

دارفور: إلى أين؟!*

الحسن بن طلال

أليس من المفروض أن تغمرنا مشاعر الأمل والتفاؤل حين نلاحظ هذا الاهتمام الدولي المركّز على قضيّة دارفور؟

فهناك تتكشف ملامح مأساة إنسانية، وتنقل لنا الأنباء أن أكثر من مليون إنسان قد اضطروا للجلاء عن مساكنهم، وتحدثنا عن عمليات تنظيف عرقي، وحتى عمليات إبادة. وتتحدّث الأنباء عن كل أشكال المعاناة كما تتحدث عن تقاعس سوداني رسمي عن وضع حدٍّ لهذه المأساة، ما أوجب ذلك التدخّل القوي من جانب الأمم المتحدة. هذا ما ترويه الأنباء.

والمفروض أن مثل هذا التدخل هو من صُلب مهام الأمم المتحدة، التي أنشئت لضمان سيادة الأمن والسلام في جميع أنحاء العالم. ومن ضمن مهمّاتها أيضاً أن تكرّس ما لديها، وكل ما لدى أعضائها، من جهد من أجل إنقاذ الشعوب التي تتعرّض للظلم والعدوان والأذى والتشتيت، كما يقال إنه يحدث في دارفور. ويبدو أن الأمم المتحدة، وانسجاماً مع متطلبات ميثاقها ووفاءً للمبادئ التي هي ملزمة بمراعاتها، قد فعلت ذلك. فقد عبر الأمين العام أكثر من مرّة عن قلقه على الوضع، وعن اهتمامه وحرصه وتصميمه على وضع حدٍّ للمأساة. كما قام شخصياً بزيارة دارفور، واطلع على ما يجري، وتباحث مع الحكومة السودانية، وأبرم معها اتفاقاً على المعالجة، وظل يتابع تطوّر الأحداث يوماً إثر يوم. وأخيراً، وإذْ أكتب هذه الكلمات، فإنّ الأنباء تنقل لنا أنّ مجلس الأمن قد اتخذ القرار (١٥٥٦) الذي يمهل حكومة السودان شهراً واحداً لتنفيذ الإجراءات المطلوبة منها، التي تعهّدت بها بموجب اتفاقها السابق مع الأمم المتحدة، وإلاّ تعرّضت للعقوبات. وحتى لا يلفَّ النسيان هذه القضيّة الإنسانيّة الملحّة، فإن القرار يطالب الأمين العام بتقارير دورية كل ثلاثين يوماً ليبقى المجلس على إطلاع على ما يجري، وحتى يتمكن المجلس من فرض العقوبات التدريجية بالتناسب مع حجم التقصير أو المخالفات التي سيبلغ الأمين العام مجلس الأمن بأن الحكومة السودانية قد ارتكبتها.

تقتضي الأمانة، بل بالأحرى المسؤولية، الاعتراف بإيجابية هذه الجهود. أليس هذا هو ما نطالب الأمم المتحدة

* نُشرت في جريدة الحياة بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣.

القيام به بالنسبة لقضايا كثيرة ملحّة أخرى؟

نعم؛ إن هذا هو بالفعل ما نطالب الأمم المتحدة القيام به. وهنا، أي في الإجابة عن هذا التساؤل، تكمن المشكلة. وقبل أن أستطرد، فإنني أرى الحاجة إلى التوضيح بأنني لن أتعجّل إصدار أي حكم، ولا حتى إبداء أي رأي، بشأن ما يجري في دارفور، أو ما جرى عبر عقود متلاحقة، ولأسباب متغيّرة متشابكة. فليس لدي من الحقائق الثابتة ما يمكنني من ذلك. كل ما أستطيع هو أن أضمّ صوتي لأيّ صوت، وأضيف جهدي لكل جهد، من أجل إقرار المبادئ التي نأمل أن تكون الموجِّه والمقرِّر في معالجة أية قضيّة كتلك التي تستقطب اهتمام العالم في دارفور. والمبادئ الواجب تأكيدها، وأنا أول من يلتزم بذلك، هي رفض الظلم، ورفض التنظيف العرقي، ورفض الترحيل والإبادة، ورفض الصمت والتقاعس عن كبح كل من تسوّل له نفسه استخدام قوته الفعلية أو نفوذه السياسي من أجل تحقيق المكاسب الداخلية أو الإقليمية على حساب الآخرين.

فالطريق الأصح والأقصر والأضمن هي أن يصار إلى تحقيق دولي موضوعي محايد في دارفور بإشراف الأمم المتحدة، وبتعاون كامل مع الحكومة السودانية، وباحترام كامل لسيادتها وكرامتها، ومن ثم يصار إلى وضع الحلول اللازمة استناداً إلى القانون الدولي. وعند التمرّد على القانون، وعند التقصير في الاستجابة لتنفيذ الحلول الموضوعية ذات الصدقيّة، تتدرج المعالجة باتجاه التهديد بالعقوبات استناداً إلى القانون الدولي أيضاً.

ثمة طريق آخر وهو تحرّك إسلامي، إما ليدعمَ عمل الأمم المتحدة، أو لينوبَ عنه. فمنذ أن بدأت ملامح هذه القضية تتكشف لنا وللعالم، لم تفارقني مشاعر الأسى لغياب الدور الإسلامي غياباً تامًّا؛ هذا الدور الذي لو تحرّك في الوقت المناسب لتمكن من وضع حد للتفاقم، ولما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه في مجلس الأمن.

فإلى متى سيظل التقاعس سبباً لضياع الفرص؟ لا أنسى هنا أن الإحجام الإسلامي عن التدخل لانقاذ تماثيل بانيان في أفغانستان قبل بضع سنوات أدى إلى تدميرها وتحميل الإسلام مسؤولية ذلك الإجراء الرجعي الفاضح.

أقول هذا لأن قضيّة دارفور، التي نحن بصددها، لا هي بالسهولة ولا هي بالوضوح اللذين يبرران التعامل معها بطريقة الأحكام المسبقة، التي قد لا تكون عادلة ولا صائبة. وقد علمتنا تجارب التاريخ القريب، والبعيد أيضاً، أن مثل هذه المعالجة تأتي دائماً بنتائج عكسية وبعواقب وخيمة. ولا نرجو أن نضيف إلى قضايانا المعقّدة جدًّا في المنطقة، والعواقب الخطيرة الناجمة عن المعالجات المغرضة المتسرّعة، كوماً جديداً.

والذي نعلم أن منطقة دارفور تعرّضت للنزاع القبلي، والعرقي، والاجتماعي، والاقتصادي منذ بداية القرن الفائت. ويبدو أيضاً أن للنزاع أبعاداً دينية، وأنه قد تطوّر أخيراً، ربما بتأثير ما جرى جنوبيّ السودان، باتجاه التحوّل إلى حركة سياسية موجهة بأهداف كان لا بد لها أن تجد نفسها في مواجهة مباشرة مع الحكومة. ولا يجوز لأية معالجة لهذه الأزمة أن تتجاوز كل هذه الاعتبارات عند تشخيص عناصر القضية أو عند وضع الوصفة اللازمة لعلاجها.

أكاد أجزم أن هناك مسؤولية يشترك في تحمل تبعاتها أكثر من طرف واحد، وهي مسؤولية السماح للأوضاع الاقتصادية والمعاشية الصعبة، وظروف الحياة القاسية، بأن تدفع بالناس في دارفور إلى اليأس والاقتتال. وكان على المجتمع الدولي ومنظمات المجتمع المدني، التي أؤكد ضرورة الارتقاء بدورها باستمرار، أن تبادر بالإجراءات الاستباقية، لا أن تنتظر انفجار الأزمة.

وفي هذا المجال أذكر أنه كان لي شرف رئاسة حملة غوث إنسانية أردنية توجهت إلى السودان الشقيق في منتصف الثمانينيّات. وتم عقب الزيارة إنشاء اللجنة الوطنية الأردنية للتضامن مع السودان التي تشرّفت برئاستها أيضاً. وكان الهدف معالجة الأوضاع في دارفور منذ

ذلك الوقت لتخفيف المعاناة وقسوة الحياة، أملاً في عدم تدهور الأوضاع المعاشية والإنسانية والاجتماعية إلى حدّ الانفجار.

قامت البعثة الأردنية عندئذٍ بانشاء مشروع كهرباء ومشروع ماء في منطقة «كاس» قرب نيالا. وقامت البعثة أيضاً بإعادة إعمار مستشفى ألمانيّ متروك، وتأهيله وتزويده بفريق طبي تمكن على مدى خمس سنوات من معالجة أكثر من مليون حالة ومن إجراء أكثر من خمسة عشر ألف عملية جراحية كبرى. وقامت البعثة بتنظيم حملات لتطعيم الأطفال وتعقيم المياه. وتم توفير التمويل اللازم من الهيئة الخيرية الهاشمية والبنك الإسلامي للتنمية.

أعود إلى تساؤلي السابق، حول دور الأمم المتحدة في تكريس كل ما يمكننا من جهد لمعالجة المأساة الإنسانية في دارفور. وأقول: نعم؛ هذا هو واجب الأمم المتحدة وواجب الأمين العام.

لكن الذي يفزعني هو أن هذه القضيّة تذكّرنا مرّة أخرى وبمضاضة أن القانون الدولي يطبق انتقائياً وأن القيّمين عليه يتعاملون مع قضايا الشعوب، لا على أساس مضمونها وعدالتها وجدارتها وطبيعتها الملحة، بل على أساس ملاءمتها للأغراض السياسية، ما يجعل مآسي الشعوب ومعاناتهم عرضة لخدمة غايات آنية وأهداف ذاتية لا علاقة لها بالإنسانية أو العدالة أو المبادئ النبيلة، وبالنظام الإنساني الجديد، الذي تشرفت في العمل عليه منذ الثمانينيات [1]. وهو لخير شاهد على النواحي الواجب اعتبارها أساساً في تجنب الأزمات المتمثلة في صراع الإنسان مع أخيه الإنسان أو صراع الإنسان مع الطبيعة. وقد أقرَّت ذلك النظام الجمعية العموميّة للأمم المتحدة، وتكرر إقراره كل عام. وهو يأذن بالعمل على سياسة انضواء تحت النواميس والأعراف القانونية والدولية لجميع الأطراف، وللمنظمة الدولية والجهات الحكومية وغير الحكومية. ذلك إن أردنا أن تعلو كلمة الحق ويعلو قانون عالمي للأمم مبنيّ على احترام مصالح الإنسانية جمعاء، قبل الاستجابة الضيقة لأصحاب المصالح الخاصة.

ليس من حق أحد أن يشكّك في أي اهتمام تبديه الأمم المتحدة، أو تبديه الدول الكبرى، من أجل السيطرة على تفاقم الأوضاع في دارفور تمهيداً لحل هذه المأساة نهائيًا وجذريًا. لكن، من ناحية أخرى، فإن من حق الجميع أن يطالبوا باهتمام مشابه في كل القضايا الأخرى. وتجنباً للغموض، فإنني أؤكد أن من حق الناس في هذه البلاد أن يتساءَلوا عن سبب صمت الأمم المتحدة على عدم تطبيق قراراتها في قضية الشرق الأوسط الكبير، وعن عدم تحديد مسؤولية من يعرقل مسيرة السلام وعدم تطبيق خريطة الطريق وغيرها من عشرات المبادرات التي ما لبثت أن اندثرت الواحدة منها تلو الأخرى. وما فتيء الوضع في المنطقة يتوغّل في متاهات العنف والدم والدمار. وما زالت الشعوب البريئة، عرباً ويهوداً، تدفع ثمن هذا التدهور.

هنالك من يقولون لي باستمرار، وأجدني عاجزاً عن تهدئة غضبهم، أو تبديد شكوكهم، أو حتى الردّ على تساؤلاتهم؛ يقولون: إن الأمم المتحدة تتحرّك ويتحرّك مجلس الأمن بحزم وشدّة وبلغة قاسية حين يكون «المذنب» عربياً، وتستكين الأمم المتحدة للصمت وتستسلم للعجز حين لا يكون الأمر كذلك، أو عندما يكون العربي أو المسلم هو الضحيّة.

أما آن لهذه المعادلة أن تسقط؟

---

(١) النظام الإنساني، الذي أقرته ٢٦ دولة، هو خير وسيلة لاستنهاض الإسلام من انغلاقه وتأثره بالسياسات الثنائية والقرارات الانفرادية. كما من شأنه أن يثبت للعالم أنه قادر من خلال الغيريّة على المحافظة على أرواح المسلمين وعلى إنسانية الأبرياء من بني البشر.

من وحي العيد: نظرات في حال الأمّة *

الحسن بن طلال

يقول تعالى: ﴿وكذلك جعلناكمْ أمّةً وسطا لتكونوا شهداءَ على النّاس، ويكونَ الرّسولُ عليكم شهيدا﴾.

[سورة البقرة (٢): الآية ١٤٣]

فالأمّة الإسلاميّة بوسطيّتها وعدالتها وموضوعيّتها تكون شاهدة على الأمم الأخرى؛ وما جاء به الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) من هدي وشريعة شاهد على أحوال الأمّة الإسلاميّة نفسها. إنّ الوسطيّة **في أحد معانيها** هي العدل في الأمور وتحقيق التوازن بين المادّة والرّوح؛ بين الدّنيا والآخرة؛ بين حقوق الله وحقوق العباد.

لقد عُنِيَ الإسلام بكرامة الفرد، وبحقوقه الاجتماعيّة والاقتصاديّة والصّحيّةِ والسّياسيّة. ولعلّ **رسالة الحقوق** للإمام عليّ زين العابدين بن الحسين (رضي الله عنه)، وهي خمسون حقًّا، تُلقي الضّوء على مصفوفة القيم في الإسلام. ومنها: حقُّ الله، وحقُّ النّفس، وحقُّ اللّسان، وحقُّ الكبير، وحقُّ الصّغير، وحقُّ أهل الذّمّة. وهي تشكّل قاعدة غنيّة لفقهائنا وعلمائنا لتِبيان حقوق الفرد. من تلك تنبع الحقوق السّياسيّة، واحترام الحرّيّة السّياسيّة؛ على قاعدة الحُرّيّة المسؤولة.

إنّ النّاس اليوم مشغولون بقضيّة الإرهاب التي تهدِّد الأمن والسّلام والاستقرار في جميع أنحاء المعمورة. ذلك أنّ العالم القويّ أدار ظهره على العالم الضّعيف؛ والعالم الغنيّ أدار ظهره على العالم الفقير. لقد أدّى شعور بعض الشّباب بالقهر والظّلم، وفقدانُهم الأمل في وجود فرصة لتغيير واقعهم المتردّي، وجمود الخطاب السّياسيّ والاجتماعيّ في ديارنا، إلى لجوء بعضهم إلى جماعات دينيّة متطرِّفة. من هنا أحسّ النّاس بالقلق الشّديد من هذا التّطرّف، مثله مثل التّطرّف لدى كلّ الملل والنّحل في عالمنا. ألم يحن الأوان للقيادة الفكريّة أنْ تضمّ جهودها إلى جهد القيادة السّياسيّة والمجتمع الأهليّ

* مستلة من كلمة ألقاها الأمير الحسن بن طلال في أمسية رمضانية في البحرين، بحضور الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك مملكة البحرين؛ نشرت في **الحياة** بتاريخ ١٥/١١/٢٠٠٤.

من أجل نشر فكرة الوسطيّة وقيمها، وأنْ تجمع النّاس من حولها، وتفعّل دوْر المفكّرين والعلماء والفقهاء، لإقامة إجماع وطنيّ صُلب في كلّ قطر من أقطارنا؟ حينئذ سينجح المؤمنون بالله في إقامة منظومة قيميّة إنسانيّة مشتركة. وسيكون الحوار بين **أتباع** الدّيانات ممكناً. وسيضطرُّ تيّار التّكفير إلى الالتزام بالإجماع؛ فتنفتح الأمّة على عصرها، وتستشرف آفاق المستقبل، وتنهل من مختلِف الثّقافات.

بالوسطيّة والاعتدال والتّمسُّك بالقيم الخُلُقية، سنفتح أبواب التّعاون مع المجتمع الدّوليّ؛ مساهمين في إقامة السّلام العالميّ وترسيخه، ومتجنّبين مخاطرَ صراع الثّقافات من خلال برامج العمل المدروسة و«مؤتمرات المواطنين» لتعزيز الحوار وخلق وعي عميق بالقضايا الملحّة في مجتمعاتنا.

نحن بحاجة إلى الحوار من أجل جسر الفجوة بين «الأنا» و«الآخر»، سواء كان الآخر في مجتمعنا أو في مجتمع آخر، من أجل إغناء حياتنا المشتركة. نحن بحاجة إلى توسيع مفهوم «نحن» بالتّركيز على القواسم المشتركة مع «الآخر»، سواء أكانت تجارب أم معتقدات فرديّة أم آمالاً ومخاوفَ وطموحاتٍ جماعيّة. هنا تتمثّل العَلاقة الدّيناميّة بين الحوار والهُويّة. إنّ لكلّ إنسان هُويّات متعدّدة، بعضها يستمدّ من الجنوسة Gender، وبعضها الآخر يستمدّ من العِرق أو الدّين أو القوميّة إلى غير ذلك. وعمليّة الحوار تسمح بحكم آليّاتها باكتشاف هُويّات نتقاسمها فيما بيننا. وهكذا تظهر الجوانب المشتركة بين مجتمع «الأنا» ومجتمع «الآخر». فالخوف من الآخر هو أحد أشكال ما يعرف بالرُّهاب Phobia الذي هو موقف لاعقلانيّ مبالغ فيه وغير مبرّر. أستذكر هنا المائدة المستديرة التي عقدناها في طهران في شباط/فبراير ٢٠٠١ تمهيدا للمؤتمر العالميّ لمناهضة العنصريّة والتّمييز العنصريّ ورُهاب الأجانب وما يتعلّق بذلك من أشكال عدم التّسامح، بما في ذلك رُهاب الإسلام أو مُعاداة المسلمين؛ ذلك المؤتمر الذي عُقد في ديربان بجنوب أفريقيا. والأمل أن نتابعَ هذا العمل ونراكمَ عليه.

إنّ العَلاقة بين «نحن» و«الآخر»، سواء أكان مسلماً أمْ غير مسلم، أو بين الوطن الأصيل والوطن المضيف، تَصبُّ في اتجاه تطوير نموذج حضاريّ عمليّ للعيش معاً في حياة تستند إلى الحوار لا إلى الصراع، وإلى الانفتاح لا إلى الانغلاق والتعصُّب؛ ومن ثمّ فإنّنا نكون إزاء نموذج يرتكز على «تعظيم الجوامع واحترام الفروق»، كما يقول الإمام الشاطبي، ويعتمد على التكافؤ والنّدّيّة. لهذا فإنّني أدعو إلى القيم الثّقافيّة المشتركة التي تندرج ضمن إطار القانون الإنسانيّ الدوليّ وحقوق الإنسان من جهة، وأخلاقيّات التّضامن الإنسانيّ من جهة أخرى؛ بما في ذلك مفهوم الإنسانيّة المُشتركة، والغيريّة، والمصالح المتبادلة المستنيرة. وقد تحقّقت دعوتي هذه جُزئيًّا بإنشاء برلمان للثّقافات في تركيا – حيث الشّرق غرب والغرب شرق– يهدف إلى تعزيز التّفاهم بين شتّى الثّقافات في العالم، وتكثيف الحوار بين المفكّرين والمثقّفين. كما كان لي الشّرف أنْ أدعو إلى نظام إنسانيّ عالميّ جديد تبنّته الجمعيّة العموميّة للأمم المتحدة بالإجماع في كلّ دورة من دوراتها منذ عام ١٩٨٧ حتى ٢٠٠٢.

تواجه الأمّة العربيّة الإسلاميّة هذه الأيّام تحدّيات كبيرة تشمل شتّى المجالات: الفكريّة، والثّقافيّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، والإعلاميّة، والعسكريّة. فأنّى وجّهت نظرك في الأمّة وجدت الضّعف، والفرقة، والتّخلّف، والمعاناة. على سبيل المثال، تصل نسبة الأميّة في العالم العربيّ إلى ٣٨٪، في الوقت الذي يُعدّ فيه الإسلام دين العلم والمعرفة؛ الدّين الذي يجعل من طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة. وفي حين ينفق العالم زهاء (٥٢٢) على البحث العلميّ والتطوير، فإنّ حصّة العالم العربيّ في هذا النّوع من الإنفاق لا تتعدّى ٠.٢ من هذا الرّقم الضّخم. ومن التّحدّيات الأخرى في المجال الفكريّ والإعلاميّ محاولات التشويه التي تتعرّض لها صورة الإسلام. هذه كلّها ظواهر وليست الأساسيات. فأين يكمن الخلل؟ وما العمل؟ هذا هو السّؤال.

هنالك معضلة أخرى تتعلّق بهجرة الأدمغة العربيّة. وهي هجرة آخذة بالاتّساع، وقد ألحقت خسارة فادحة بالمصالح العربيّة في مجال التّنمية والبحث العلميّ والتّصنيع. ولا ريب في أنّ انقطاع الصّلة بين المهاجر ووطنه الأمّ يؤدّي إلى زيادة هذه الخسارة. وتقدّر نسبة المهاجرين من أصحاب الكفاءات العالية والاختصاصات المهمّة ببضعة ملايين من الفنيّين وحملة الشّهادات العليا. وهم القوى الأساسيّة الضّروريّة لأيّ نهضة حقيقيّة في مجتمعاتنا العربيّة والإسلاميّة. **إنّ المأساة لا تكمن في هجرة هذه العقول وحدها، وإنّما في هجرة القلوب أيضاً.**

إنّ الحاجةَ ماسّة لمعالجة هذا الواقع الأليم بنظرة جديدة، ومنهج نقديّ فعّال، وضمن إطار عالميّ. علينا أنْ نتعلّم كيفيّة العمل في هذا الإطار؛ أي التّركيز على الأرضيّات المشتركة بيننا وبين «الآخر»، واحترام الفروق بيننا وبين الأمم الأخرى. كما نحتاج إلى التّوازن والاعتدال في تنظيم الواقع الإنسانيّ، استناداً إلى المضامين الأساسيّة لصفة الوسطيّة في الإسلام.

تطرح الأحداث المتوالية على المفكّرين والمصلحين وصنّاع القرار قضايا رئيسيّة على المستويين الإقليميّ والدوليّ، ومنها دوّامة الرعب الدّائرة في فلسطين والعراق؛ إضافة إلى الانتهاكات التي تتعرّض لها مقدّساتنا في مدن القدس، والخليل، والنّجف الأشرف، والاعتداءات على حرمات المساجد في أماكن أخرى من العالم كما يجرى في الهند والباكستان.

إنّ تعرّض الأماكن المقدّسة – التي هي روح الشّعوب – للتّهديد يوميًّا، سواء أكانت إسلاميّة أم مسيحيّة أم غيرها، أمر لا يُمكن التّغاضي عنه. فالحال التي آلت إليها مقدّساتنا، والأخطار التي تحيق بها، تجعلنا في أمسّ الحاجة إلى إدارة معنويّة للأماكن المقدّسة.

وفي الوقت الذي نريد فيه المحافظة على مقدّساتنا وحمايتها، فإنّنا نؤكّد ضرورة احترام الحياة الإنسانيّة والدّفاع عنها. فهي في المنظور الإسلاميّ

غالية لا يجوز الاعتداء عليها تحت أيّ صورة من الصّور.

إنّ أهمّ ما يجب التّركيزُ عليه في هذه الأيّام المباركة، هو الحرص على العروة الوثقى وتعميق أشكال التّعاون والتّكامل بين الشعوب والدّول الإسلاميّة، **والتّعامل مع الاختلاف ضمن إطار حضاريّ** يوجب بذل الجهود المخلصة لتوثيق الروابط وتعميق العلاقات فيما بيننا. من هُنا لا بدّ من تأكيد **أهميّة حوار المذاهب**، والعمل المستمرّ- في إطار عَلاقاتنا العربيّة والإسلاميّة – على تعظيم القواسم المشتركة، واحترام الفروق، وبناء مظاهر التكامل، لتكون الأمّة على مستوى التّحدّيات الكبيرة التي تواجهها.

ولا بدّ لبلوغ هذه الأهداف من تمكين الأغلبيّة العاقلة (كي لا أقول الصّامتة) من ممارسة دوْرها في إغناء مسيرة الوطن وتوجيهها. فنحن بحاجة ماسّة إلى مزيد من الحريّة التي تمكّن الأفراد من ممارسة دورهم في بناء المجتمع ونهضته بكلّ جدّيّة ومسؤوليّة.

أغتنم هذه المناسبة لأجدّد الدّعوة إلى عقد مؤتمر دوليّ شامل يتصدّى ضمن رؤية استراتيجيّة لمشكلات غرب آسيا وجنوب آسيا وشمال إفريقيا، التي هي أفقر مِنطقة في العالم وأكثرها كثافة سكّانيّة وأهمّها تجارة بين الشّرق والغرب وأكثرها تعدادًا. فلا يمكن لهذه المنطقة الشّاسعة أن تستقرّ إلا ببلورة معاييرَ ناجحة في إطار الشّرعيّة الدّوليّة التي تساهم وتؤثر بها؛ فتخرج بذلك من دائرة التّأثّر الفرديّ إلى دائرة التّأثير الجماعيّ. وأرى أن يأتي مثل هذا المؤتمر على خلفيّة حوارات فيما بيننا – عرباً ومسلمين – في القضايا الإنسانيّة التي تهمّنا مثل حماية المدنيّين، وسيادة المواطن وحقوقه وكرامته. كما أدعو إلى تفعيل الغيْريّة العربيّة الإسلاميّة لتعمل جنباً إلى جنب مع المؤسّسات الأمميّة الدّوليّة في مجال إعادة الإعمار والبناء، خاصّة إعادة البناء النّفسيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ. بذلك كلّه نكون قد حافظنا على هُويّتنا العربيّة في سياق **ثقافة الانضواء** تحت خيمة القانون الإنسانيّ الدّوليّ.

إنّ توجيه اهتمامنا إلى روح الإنسان وقيمه لا يعني أن نترك حياته وظروف معيشته تحت رحمة الأقدار والمصادفات. لقد دعوتُ، ومازلتُ أدعو، إلى إقامة مؤسّسة عالميّة للزّكاة والتّكافل، أو بنك للصّدقات؛ شعوراً منّي بمعاناة قطاعات عريضة من المسلمين من الفقر وعوامل التّخلّف، وإدراكاً راسخاً لدور الزّكاة في تحقيق الحياة الكريمة للأفراد في المجتمعات الإسلاميّة. وبوجود مبدأ الزّكاة، تتعزّز الغيْريّة والسّلطة الأخلاقيّة والكرامة الإنسانيّة، وتغيب الاستحواذيّة.

اللهمّ أعد على الأمّة الشّهر الفضيل وهي قد تقدّمت، ولو خطوات معدودات، نحو تقريب المدارس والمذاهب الإسلاميّة، من خلال الشّورى نحو الإجماع حول القضايا الحياتيّة المعاصرة بكل أطيافها: من قضايا الأمّة الكبرى – فلسطين والعراق وسائر أقطارنا – إلى البيئة الطّبيعيّة والبيئة الإنسانيّة، وحتّى بحوث الخلايا الجذعيّة والأوبئة التي تحاصرنا من كل حدْب! ■

برعاية صاحب السموّ الملكيّ
الأمير الحسن بن طلال حفظه الله

منتدى الفكر العربيّ/منتدى برونوكرايسكي

الندوة المشتركة حول:

أوروبا والمنطقة العربيّة: علاقة جديدة؟!

البتراء: ٢ - ٣ تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠٠٤

خلاصة

اختتم منتدى الفكر العربيّ، بالتعاون مع منتدى برونوكرايسكي، اجتماعاً على مدى يومين في البتراء أيّد فيه المشاركون من جانبي البحر الأبيض المتوسط الإصلاح، ونادوا بإعادة صياغة العلاقات الأوروبيّة العربيّة. وناقش المشاركون الثلاثون (عشرون من العرب وعشرة من الأوروبيين) العلاقات العربية الأوروبية، وكذلك العلاقات العربية الأمريكيّة وأثرها على العلاقات ما بين العرب وأوروبا.

وكانت النقاط الرئيسية التي نوقشت في الاجتماع كما يأتي:

- أبديت الرغبة في تقوية التعاون في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة.
- إنّ التقارب الجغرافي والتاريخي بين المنطقتين قد أدّى، وسيؤدي، إلى مشاركة أوروبية أكبر.
- يمكن لأوروبا أن تبذل جهداً أكبر في القضايا السياسيّة التي يواجهها العالم العربي، خاصة القضية الفلسطينية والعراق.
- يمكن للسياسة الخارجية الأوروبية فيما يتعلق بتلك القضايا أن تكون أكثر فاعلية وإيجابية مما هي عليه الآن. فلأوروبا دور متزايد الأهمية تستطيع القيام به في هذا المجال.
- ترغب البلدان العربية في الإصلاح والتحديث. وتستطيع أوروبا أن تساعد في تحقيق هذا الهدف.
- إن المجتمع الأهليّ (المدنيّ)، إضافة إلى الحكومات، أدوات مهمة في عملية التغيير والتطوير.
- إن الإصلاح السياسي في العالم العربي يعني، في المقام الأول، الديمقراطية والمؤسسات الديمقراطية. وقد أعرب كثير من المشاركين عن الرغبة في أن تضع أوروبا قوتها «الناعمة» في دعم هذا الهدف عبر سياساتها الموجهة نحو الحكومات والبلدان العربية.
- إن إصلاح الأنظمة القضائية والتربوية أمر رئيسي. وكذلك هي مواضيع حكم القانون، والحاكمية الجيدة، وحقوق الإنسان، ودور المرأة.
- إن توسع أوروبا سيؤثر على سياستها الخارجية. وهنالك خوف أن يظهر الاتحاد الموسع اهتماماً أقل بقضايا جيرانه المباشرين وحاجاتهم.
- يجب أن تبنى علاقات الجانبين في الميادين الماضية على



الشفافيّة أكثر فأكثر. كما يجب أن يعزز التشبيك بين المنظمات غير الحكومية.

- أبديت الرغبة في أن تتخذ السياسة الخارجية الأوروبية تجاه العرب دوراً أكثر حزماً واستقلالية عن السياسة الأمريكيّة أحاديّة القطب، وأن لا تُخمِد السياسة الأمريكية الدور الأوروبي.
- من المعروف أن البلدان العربية والاتحاد الأوروبي يعانيان في الوقت الحاضر من ضغوطات وانقسامات داخلية تضعف سياساتهما المشتركة في الشؤون الخارجية.
- ومن المعروف أيضاً أن التغيرات السريعة التي تنتاب توسيع الاتحاد الأوروبي والدستور الأوروبي الجديد لها تأثير كبير على سياسات الاتحاد.
- إن أداة نقل العلم والتكنولوجيا هي الاستثمار الأوروبي المباشر في اقتصاد المنطقة العربية. وإن المشروعات المشتركة بين الشركات الصناعيّة والخدمية الأوروبية ونظيراتها العربية ستدعم زيادة الدخل والثروة، وتسد فجوة الدخل والتكنولوجيا ما بين الجانبين.

ملاحظات إضافيّة

لقد تزامن اجتماع البتراء مع الذكرى السنوية العاشرة لإعلان برشلونة، ومع إطلاق سياسة الجوار الجديدة. للاتحاد الأوروبي. وفيما يأتي اقتباس من الورقة الأولى لمنتدى برونوكرايسكي:

«إن عملية برشلونة، بما فيها إقامة اتفاقيات مشاركة ثنائية وتعاون إقليمي وصناديق تمويل بلدان الشرق الأوسط، قد جعلت من الإصلاح أولويّة. وإن أوجه التعاون في مجالات، مثل العدل والشؤون المحلية، والمجتمع المدني، ووسائل الإعلام، والإدخال التدريجي للتجارة الحرّة، مع ما يتبعها من حاكمية اقتصادية محسنة وتحرير مستمر للاقتصاد، هي بعض الأمثلة على برامج الإصلاح التي اعتمدت ضمن السياق الأوروبي المتوسطي. وإن القصد الآن هو ′تعزيز ذلك العمل′ على ′نطاق جغرافي أوسع′.

المشاركون في الندوة



المشاركون الأوروبيون

١ – غودرن هارير	1 - Gudrun Harrer
٢ – بيتر يانكوفتش	2 - Peter Jankowitch
٣ – فردناند لاسينا	3 - Ferdinand Lacina
٤ – جورج لنخ	4 - Georg Lennkh
٥ – بربارا برامر	5 - Barbara Prammer
٦ – أوليفر راثكولب	6 - Oliver Rathkolb
٧ – مارغت شمدت	7 - Margit Schmidt
٨ – أودو شتاينباخ	8 - Udo Steinbach
٩ – هانس سفوبودا	9 - Hannes Swoboda
١٠ – يان ذِسليف	10 - Jan Thesleff

المشاركون العـــرب

١ – تيسير عبد الجابر
٢ – فخري أبو شقرة
٣ – مطهر السعيدي
٤ – خالد الشريدة
٥ – وسام الزهاوي
٦ – علي عتيقة
٧ – الهادي البكوش
٨ – عدنان بدران
٩ – أسامة الغزالي حرب
١٠ – همام غصيب
١١ – فاتنة حمدي
١٢ – عبد العزيز حجازي
١٣ – طاهر كنعان
١٤ – مروان كردوش
١٥ – عمر خليفتي
١٦ – هشام الخطيب
١٧ – طاهر المصري
١٨ – ليلى شرف
١٩ – فواز شرف
٢٠ – إيهاب سرور
٢١ – فالح الطويل

برنــامـــج النّـــدوة

اليوم الأوّل: السبت ٢ تشرين الأوّل/ أكتوبر ٢٠٠٤

(المكان: فندق موفنبك/ النبطيين)

٩:٣٠ - ١٠:٠٠

جلسة الافتتاح : كلمات ترحيبية

أ. وسام الزهاوي/أمين عام منتدى الفكر العربي

أ. فردناند لاسينا/ نائب رئيس منتدى برونوكرايسكي

١٠:٠٠ - ١١:٠٠

استـــراحـــة

١١:٠٠ - ١٣:٣٠

الجلسة الأولى : العلاقات العربية الأوروبية

رئيس الجلسة : أ. طاهر المصري

١١:٠٠ - ١١:٣٠

الورقة الأولى لمنتدى الفكر العربي

(د. طاهر كنعان)

١١:٣٠ - ١٢:٠٠

الورقة الأولى لمنتدى برونوكرايسكي

(أ. مارك أوت/أ. يان ذِسليف)

١٢:٠٠ - ١٣:٣٠

مناقشـــة

١٤:٠٠ - ١٦:٣٠

غـــداء (بدعوة من فندق موفنبك/النبطين)

١٦:٣٠ - ١٩:٣٠

الجلسة الثانية : العلاقات العربية الأمريكية

(وأثرها على العلاقات العربية الأوروبية)

رئيس الجلسة : أ. هانس سفوبودا

١٦:٣٠ - ١٧:٠٠

الورقة الثانية لمنتدى برونوكرايسكي

(أ.د. أودو شتاينباخ)

١٧:٠٠ - ١٧:٣٠

الورقة الثانية لمنتدى الفكر العربي

(د. أسامة الغزالي حرب)

١٧:٣٠ - ١٨:٠٠

استراحـــة

١٨:٠٠ - ١٩:٣٠

مناقشـــة

٢١:٠٠

عشـــاء

(بدعوة من المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا)

برنامج النّدوة

اليوم الثاني: الأحد ٣ تشرين الأوّل/ أكتوبر ٢٠٠٤

(المكان: فندق موفنبك/ النبطيين)

١٠:٠٠ - ١٢:٣٠

الجلسة الثالثة : دائرة مستديرة

رئيس الجلسة : د. عبد العزيز حجازي

١٠:٠٠ - ١١:٠٠

أ. فخري أبو شقرة

أ. غودرن هارير

أة. دة. فاتنة حمدي

أ. بيتر يانكوفتش

١١:٠٠ - ١١:٣٠

استراحة

١١:٣٠ - ١٢:٣٠

مناقشة

١٢:٣٠ - ١٣:٣٠

الجلسة الختامية

رئيسا الجلسة:

الشريف فواز شرف و أة. بربارا برامر

١٣:٣٠ - ١٥:٠٠

غداء (بدعوة من جامعة فيلادلفيا)



السّجلّ المصوّر





السّجلّ المصوّر







أوروبا والمِنطقة العربيّة: عَلاقة جديدة

فـــالح الطـويـل *

في الموفنبك المطل على بدايات تلك التشكيلات الجبلية الأخاذة الممتدة من البتراء حتى وادي رم، جرى على مدار يومين بحث العلاقة الجديدة بين أوروبا والمنطقة العربية في الندوة التي نظمها منتدى الفكر العربي ومنتدى برونو كرايسكي للحوار الدولي، وشارك فيها عشرة من الأوروبيين، من النمسا واللجنة الأوروبية في بروكسل، وعشرون من العرب، من الأردن وتونس ومصر والسعودية واليمن.

وقد أشار المشاركون، الأوروبيون بشكل خاص، إلى قضايا الأمن والإرهاب والهجرة في أوروبا، والإصلاح السياسي في المنطقة العربية، باعتبار أن الفشل في الأخير سوف ينعكس على أوروبا في القضايا الثلاث الأولى. كما طرحوا كيفية إدارة الحوار واختيار أطرافه مستقبلا. ومن جانبهم، تناول العرب الموقف الأوروبي من قضايا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وتدمير العراق، والموقف من قضايا الإصلاح الداخلي في بلادهم.

لقد صار واضحا منذ اللحظات الأولى للقاء أهمية مواصلة الحوار وتوسيعه. فعلى الرغم من أن الاتحاد الأوروبي قد قطع شوطا مهما في علاقاته مع أربع دول عربية مشاركة هي الأردن ومصر وتونس والمغرب، وأنه بصدد تطوير علاقات مع دول الخليج ودول أخرى غير عربية في المنطقة، وأنه يملك لهذه الغاية مبادرة تحت اسم «سياسات الجوار» لتنظيم العلاقة الجديدة مع هذه الدول، إلا أن ثمة فجوة ثقافية وسياسية كبيرة لا زالت تفصل المنطقتين، وأن هذه الندوة جاءت لتبحث عن سبل لإقامة حوار معمق بينهما.

فقد لاحظ الجانب العربي أنه، على الرغم من القول

* عضو مجلس الأعيان؛ كاتب ومحلل سياسي - جريدة الرأي.



بأن حل مسألة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يحتل «أولوية استراتيجية متقدمة ومحورية» في سياسات الاتحاد، وعلى الرغم من البيانات الأوروبية بين الفترة والأخرى، إلا أن الموقف الأوروبي لا يزال أشبه بموقف المراقب المحايد من قضية هذا الصراع ومما يجري في العراق. كما أن مفهوم الاتحاد عن السلام والإرهاب والأمن، وموقفه من قضايا التجاوزات على القانون الدولي والإنساني مختلفان عما يعطيه العرب لهذه الأمور من معان، وكذلك في الخطوات اللازمة للمعالجة.

ولقد ضربت أمثلة منها أن الدول الأوروبية الدائمة العضوية في مجلس الأمن قد سارعت إلى المطالبة بسحب القوات الأجنبية من لبنان، بينما هي تصمت عن فظائع الاحتلال الإسرائيلي في الأرض الفلسطينية، وتكتفي بالمطالبة بالالتزام بخريطة الطريق، دون أن تقف كثيرا أمام حقيقة أن إسرائيل لا تلتزم بتلك الخريطة، خاصة في مسألة تجميد الاستيطان، على سبيل المثال. كما إنها تحمل الفلسطينيين مسؤولية مشابهة لمسؤولية إسرائيل عن فشل العملية السلمية، بعد أن تضخم مسألة الفساد في أجهزة السلطة، ومسألة إساءة استخدام السلطة للمعونات الأوروبية، متناسية أن أجهزة السلطة وقراراتها مشلولة بفعل الاحتلال الإسرائيلي الذي يشل أيضا أية خطوات عملية من جانب العرب باتجاه إعادة الحياة للعملية السلمية.

ولقد قيل، في الجانب الأوروبي، إن العرب غير موحدين، وإنه ليست لديهم صورة واضحة عما يجب أن يفعلوا في كل القضايا التي يتحدثون عنها، وإن كثيرا من دولهم المهمّة تعتبر نفسها حليفا استراتيجيا للولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك فهم يشكون سياساتها. وإن أوروبا لا تستطيع فعل شيء في هذا السبيل؛ كل ما يمكنها فعله هو انتظارهم أن يقوموا بشيء لتساعدهم.

وقد رد الجانب العربي بأن العرب ليسوا موحدين فعلا، وأن دولهم ضعيفة وتستفرد الولايات المتحدة بها، فلا تستطيع شيئا أمام تغول السياسات الأمريكية وحلفائها، وأنهم الآن إما محتلون، كما هم في العراق وفلسطين، وإما مهددون باستقرارهم، كما هو الحال في لبنان والسعودية والسودان. إن العرب لا يطالبون أوروبا أن تنجدهم أو أن تقف موقفا معاديا من واشنطن. ما يطالبون به هو أن تقوم بواجبها المطلوب منها حسب ميثاق الأمم المتحدة، باعتبارها راعية الحريّة والديمقراطيّة، والمدافعة عن احترام قواعد القانون الدولي والإنساني في العلاقات بين الدول.

ثمة فجوة ثقافية، حقيقية أو مفتعلة، بين أوروبا والعرب. والمطلوب هو تجسيرها، أو معالجتها، بتوسيع دائرة الحوار، لا على مستوى الحكومات، فهذا قائم ويتولى إدارة المصالح الثنائية بنجاح حتى الآن، ولكن على مستوى المجتمع المدني، حيث يجب أن يكون التغيير.

لقد قيل إنه تأسس في مصر منتدى الحوار المصري الأوروبي. فلماذا لا يكون هناك مشروع أردني أوروبي مماثل؟ أو أن تتولى الجامعة العربية بناء شيء شبيه على نطاق أوسع، يكون متواصلا وذا أثر أوضح في إعادة صياغة الموقف الأوروبي من القضايا العربية؟ لنا في أوروبا ملايين العرب والمسلمين. وهؤلاء قاعدة كبيرة تضمن نجاح المحاولة إذا أديرت إدارة جيدة. ■

الجهاد والمقاومة والإرهاب

د. عدنان السيد حسين

بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، تزايدت الاهتمامات العالمية بمكافحة الإرهاب، وبرزت إشكالية التمييز بين الأعمال الإرهابية ومقاومة الاحتلال في وقت راحت تطرح فيه مقولات صِدام الحضارات، أو صِدام الثقافات، أو صِدام الأديان.

للإضاءة على هذا الموضوع تنشر مجلة «المنتدى» فصلاً من كتاب «العلاقات الدولية في الإسلام» للدكتور عدنان السيد حسين، أستاذ الدراسات العليا في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية في الجامعة اللبنانية، وعضو مجلس أمناء منتدى الفكر العربي. وهو كتاب جامع سيصدر قريبا.

الجهاد غير الحرب

ما يزال «الجهاد» مادة للاجتهاد والتفسير عند كثير من الفقهاء. إنه واسع الدلالة، ومتعدد الأنواع. وهو بلا شك مصطلح إسلامي، ومصدره إسلامي. وقد احتل الجهاد موقعا أصيلا في الشريعة الإسلامية.

جاء في **«لسان العرب»** عن كلمة الجهاد: «الجُهد هو الطاقة... والجَهد هو المشقة... قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجُهد والجَهد في الحديث، وهو بالفتح المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وبالضم الوسع والطاقة... جاهد العدو مجاهدة وجهاداً: قاتله وجاهد في سبيل اللّه. وفي الحديث لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية. الجهاد هو محاربة الأعداء...»[1]. المقصود هنا أن الهجرة توقفت بعد فتح مكة لأنها صارت دار إسلام.

إلا أن معنى الجهاد لا يقتصر على محاربة الأعداء، وإن كان قتال المشركين احتل ركنا ركينا في مدرك الجهاد. فالجهاد كان في مكة قبل الهجرة النبوية إلى المدينة، وبوسائل غير عسكرية. إنه جهاد الدعوة إلى الإسلام. جاء في سورة الفرقان، وهي سورة مكية، ما يدلّل على هذا المعنى: ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيراً﴾[2]، أي جاهدهم بالقرآن الكريم بما فيه من حجج.

ورد لفظ الجهاد ومشتقاته في حوالي أربعين آية، وله معان مختلفة ومتعددة. فهو من أعمال البرّ. وهو لإقامة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول.
(٢) سورة الفرقان(٢٥): الآية ٥٢.



وهو الكفاح ضد الظلم والعدوان. وهو جهاد النفس، أفضل الجهاد، كما جاء في الحديث الشريف: «أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله» [٣].

وللجهاد مضمون سياسي عند مقاومة الاستبداد. وقد جاء في الحديث الشريف، كما أشرنا سابقاً: «أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر». وهذا ما يؤكد تنوّع أنواع الجهاد، والمفاضلة بين هذه الأنواع.

من أنواع الجهاد، كما أشار الدارسون، الثبات على الحق والتبصّر بكتاب الله أي الدعوة [٤]. وهناك من ركز على نوعين من الجهاد: الجهاد ضد النفس، أي ضد الهوى والغرائز؛ والجهاد بالكلمة في مدافعة الشرّ واستجلاب الخير [٥]. ويطلق الجهاد على مجاهدة الفاسقين والشيطان، إضافة إلى مقاتلة الكفار [٦]. وقيل إن الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق [٧]، أي هو الدعوة إلى الإسلام. والدعوة لا تتحقق بالسيف، وإنما بالإيمان قبل أي عامل آخر.

إلى ذلك، هناك من يركز على بذل الجهد والكفاح بالوسائل السلمية قبل القتال لتحقيق سعادة البشرية [٨]، وأن الجهاد هو بذل الجهد في مدافعة الأعداء، على تعدد الميادين التي يبذل فيها الانسان وسعه وجهده، فضلاً عن تنوع الأعداء [٩]. وثمة من توقف عند مفهومي الجهاد في الإطار الضيّق، أي الجهاد الحربي أو العسكري؛ وفي الإطار الواسع، أي جهاد النفس من خلال مقاومة المسلم لأهوائه [١٠].

بدأ الجهاد سلماً مع الرسول ﷺ عندما آذته قريش واضطهدته فهاجر إلى المدينة [١١]. وعليه فإن صموده في مكة قبل الهجرة هو نوع من الجهاد. والجهاد هو «باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجُنّته الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء» [١٢]، كما قال الإمام علي في معرض تشجيع قومه على مقاتلة أعداء الإسلام.

على صعيد آخر، يُشير أبو الحسن الماوردي إلى أن الإمارة على الجهاد تعني قتال المشركين: «والإمارة على الجهاد مختصة بقتال المشركين» [١٣]. إلا أن هذه الإشارة لا تعني حصر الجهاد بالحرب، ولا هو كالحرب المعروفة بين الدول والجماعات لأسباب سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك.

الجهاد، كمصطلح إسلامي، ينطوي على الدفاع عن الدين الإسلامي، وعن بلاد المسلمين، إضافة إلى كونه جهاداً مع النفس، وجهاداً ضد الاستبداد، وجهاداً من أجل إعلاء كلمة الحق. والجهاد بهذه المعاني المتعددة

---

(٣) رواه الديلمي من حديث أبي ذر، ورواه الترمذي وابن حبان.

(٤) محمد سعيد رمضان البوطي، **الجهاد في الإسلام**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣، ص٢٠.

(٥) أحمد شلبي، **العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي/ موسوعة الحضارة الإسلامية (٩)**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩٧

(٦) عبد الرزاق الطبطبائي (عميد كلية الشريعة في الكويت)، «أحكام الجهاد» في: **حقيقة الإسلام في عالم متغير**، المؤتمر ١٤، وزارة الأوقاف في مصر، ٢٠-٢٣/٥/٢٠٠٠.

(٧) شريف الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٠.

(٨) وهبة الزميلي، **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٢، ص٢٤.

(٩) محمد عمارة، **الإسلام والحرب الدينية**، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٢ ص٧.

(١٠) إحسان الهندي، **أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام**، دار النمير، دمشق، ١٩٩٣، ص١٢٧-١٢٩.

(١١) منير العجلاني، **عبقرية الإسلام في أصول الحكم**، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص٢٣٨.

(١٢) نهج البلاغة.

(١٣) أبو الحسن الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ١٩٨٩، دار الحرية للطباعة، المكتبة العالمية، ص٥٩.

ليس حرباً، ولا هو كالحرب التقليدية المعروفة في تاريخ الأمم والدول. إن الحرب التقليدية تقوم بين طرفين أو أكثر، طرف معتدٍ وطرف مُعتدى عليه. أما الجهاد فهو لا يتصل بصلة مع العدوان، بل يواجهه بالدفاع والصمود إعلاءً لكلمة اللّه وتحقيقاً لسعادة البشرية. ولقد وجد الكاتب البريطاني المعاصر فريد هاليداي أن مصطلح الجهاد يحتمل تفسيرات متنوعة، من الناحية القتالية أو العسكرية إلى البعد المدني والاجتماعي، إلى جهاد النفس، أي تهذيبها، من خلال العبادة والتأمل والدرس...»[١٤].

الجهاد ليس للإكراه

إن اعتبار الجهاد أسلوباً لفرض الدعوة الإسلامية بالقوة أو الإكراه غير صحيح. فالجهاد مجرد حماية للدعوة عندما تفرض الظروف القائمة تحديات على بلاد المسلمين، والدعوة تتحقق بالحكمة والموعظة الحسنة ولا تتحقق بالسيف. يقول السيد محمد حسين فضل اللّه في هذا المضمار:

«إننا لا نجد فيما اطلعنا عليه من النصوص الدينية في الكتاب والسنة تأييداً للفكرة التي تجعل من الدعوة هدفاً للقتال، أو تعتبر القتال وسيلة من وسائل إكراه الناس على الدخول في الدين، بل كل ما هنالك أنها اعتبرت القتال وسيلة مشروعة من وسائل حماية الدعوة، ووقايتها من التحديات المضادة التي يقوم بها أعداؤها الكافرون»[١٥]. فالقتال وسيلة للحماية، أو الدفاع عن الدعوة، وليس هدفاً بحد ذاته.

«إن موقع الجهاد من الدعوة هو موقع القوة التي تحمي الرسالة وتفسح لها المجال للامتداد وإبلاغ صوتها إلى كل بقعة من بقاع الأرض... وليس موقع القوة التي تفرض الإسلام بالإكراه والتهديد...»[١٦]. فمن الخطأ والحال هذه اعتبار الجهاد أداة فرض، أو استعراض قوة وبطش.

ثمة تأكيد إسلامي عام على أن الدعوة إلى الإسلام كانت تتحقق بالموعظة، ولم تتحقق أبداً من خلال القوة. وفي زمن الفتوحات (التي ترتبط بشكل أو بآخر بالجهاد) كانت الدعوة السلمية إلى الدين الحنيف هي وسيلة. وفي هذا المقام، ورد في الحديث الشريف عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: بعثني رسول الله إلى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم اللّه لئن يهدي اللّه عزّ وجلّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس». [١٧]

من الملاحظ أن المسلمين استخدموا السيف في عملية بناء الدولة، أو في الدفاع عنها، ولم يستخدموه في نشر الدين. ذلك لأن الإيمان الديني، وهو أساس العقيدة، تصديق من القلب يبلغ مرتبة اليقين. يقول في ذلك الإمام محمد عبده: «فالقهر لا يُحدث إيماناً، والإكراه لا أثر له في الدين»[١٨]. قد تقع أخطاء في تاريخ الإمبراطوريات الإسلامية، بفعل الحكام، تحت ادعاء الجهاد ونشر الدعوة، وما إلى ذلك من استظلال بالدين... وهي أخطاء عند استعمال العنف في غير موضعه، وبدون مسوّغ شرعي. نعم وقعت، وتقع، مثل هذه الأخطاء، بيد أنها لا تحرف المفهوم الاسلامي للجهاد في كونه مفهوماً دفاعياً في الدرجة الأولى،

---

(١٤) فريد هاليداي، «الإسلام والقانون الدولي»، في: **صحيفة الحياة**، لندن، ٢٠٠٢/٥/٩.
(١٥) محمد حسين فضل الله، **الإسلام ومنطق القوة**، ص٢٠٤.
(١٦) فضل الله، مرجع سابق، ص٢٠٧.
(١٧) وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٠.
(١٨) موسوعة العلوم السياسية، ج١، ص١٣٣.

ومفهوماً إنسانياً لا يمكن أن يقوم على الفرض والقهر.

استمر الجهاد رداً للعدوان، وليس مبادأة بالعدوان. فالله لا يحب المعتدين، وتلك حكمة خالدة. ولا يمكن أن تتقدم أية دعوة بدون قوة تحميها. وكيف إذا كانت هذه الدعوة بأهميّة وعظمة الدعوة الإسلامية من حيث أن الإسلام هو ختام الرسالات السماوية، وأن محمداً ﷺ هو ختام الرسل والأنبياء؟

إذا كانت الشهادة هي أعلى مراتب الجهاد، فإن الشهادة تتحقق بالدفاع عن الدين، أو بالدفاع عن النفس والأهل والمال. جاء في الحديث الشريف: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»[١٩]. إنها حالات دفاعية، حيث يدافع فيها الإنسان عن ماله، ودينه، ودمه وأهله. ولا نخال أية شريعة، سماوية كانت أو وضعية، لا تجيز حق الدفاع عن النفس. وإن القانون الدولي المعاصر - كما هو معروف - أجاز حق الدولة في الدفاع عن نفسها عندما تتعرض للعدوان، حيث جاء في ميثاق الأمم المتحدة، وهو أعلى قاعدة وضعية من قواعد القانون الدولي المعاصر: «ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة...»[٢٠].

الطبيعة الشرعية للجهاد

اختلف الفقهاء حول الطبيعة الشرعية للجهاد، فيما إذا كان «فرض كفاية»، أي يكفي أن يقوم به بعض المسلمين لكي يسقط عن الباقين؛ أو «فرض عين»، أي أنه واجب على جميع المسلمين.

بداية، الجهاد لا يكون ضد المسلمين إلا في حدود ضيقة، كما ذكر بعض الفقهاء في قتال البغاة. أما المنافقون فقد جرت سيرة الرسول على معاملتهم كباقي المسلمين في الحياة الاجتماعية والسياسية طالما هم مسالمين، ولا يقومون بأعمال حربية تستوجب الردّ.[٢١]

في حالة تعرض بلاد المسلمين للعدوان والغزو من الخارج، فإن الجهاد يصير فرض عين، كما أشار الفقهاء بوجه عام.[٢٢] في هذه الحالة التي يُخشى معها على بيضة الإسلام، يتحول الجهاد إلى استنفار عام لأبناء الأمة، رجالاً ونساءً، لرد العدوان والدفاع عن الإسلام والمسلمين. أما في الحالات الأخرى وبوجه عام فإن الجهاد هو فرض كفاية، كما أشار فقهاء المالكية والحنبلية والشافعية والظاهرية والإمامية. يقول الإمام ابن حزم: «والجهاد فرض على المسلمين. فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين، سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا. ولا يجوز إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرضه على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم...»[٢٣].

---

(١٩) رواه الترمذي.
(٢٠) المادة الحادية والخمسون من ميثاق الأمم المتحدة.
(٢١) محمد مهدي شمس الدين، **فقه العنف المسلح في الإسلام**، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٩.
(٢٢) محمد نوري يلماظ، رئيس الشؤون الدينية للجمهورية التركية، «رأي الإسلام حول العلاقات الدولية والجهاد» في: **حقيقة الإسلام في عالم متغير**، ص ١٢.
(٢٣) صالح اللحيدان، **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع**، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٣٩٧هـ، ص١٤٢.

اللافت في فقه الجهاد ضرورة موافقة الوالدين على الخروج. ففي فقه الإباضية على سبيل المثال نجد: «وأما الخارج إلى الجهاد، فينبغي له أن لا يخرج إلا بعد قضاء الدين، والتخلص من التبعات، ورأي الوالدين» [٢٤]. إن هذا التشديد على رأي الوالدين في قضية مهمة كالجهاد يبيّن مقدار سمو رضى الوالدين في الشريعة الإسلامية، بل وفي العقيدة الإسلامية. «قال الإمام جعفر الصادق: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إني راغب في الجهاد نشيط، فقال له النبي ﷺ: فجاهد في سبيل الله. قال الرجل: إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي، ويكرهان خروجي. قال النبي ﷺ: أقم مع والديك، والذي نفسي بيده لأُنْسُك بهما يوماً وليلة خير من جهاد سنة» [٢٥].

أما شروط الجهاد من حيث أهلية المجاهد، فقد تعدّدت بين هذا الفقيه وذاك. إلا أن ثمة شروطاً مشتركة هي:
١ - الحرية، أي لا يكون مسجوناً أو متهماً في شرفه.
٢ - البلوغ، فلا يكون صبياً غير مميّز.
٣ - العقل، فلا يكون مجنوناً.
٤ - القدرة الجسدية، فلا يكون مريضاً.
٥ - إذْنُ الوالدين، إلا في حالة الضرورة القصوى.

إلى ذلك، هناك من يشترط الخبرة العسكرية للقتال، أو الذكورة، بمعنى أن يُحصر الجهاد بالرجال. بيد أن آراء فقهية أخرى تحدثت عن المجاهد بصفة عامة، ذكراً أم أنثى [٢٦]. وهناك من اشترط أخذ إذن إمام المسلمين للخروج إلى الجهاد، وترك له حرية التقدير في ذلك [٢٧].

إن علة الجهاد الحربي هي الدفاع. فالدفاع عن ديار المسلمين، ومعتقداتهم، وأموالهم ودمائهم، وأعراضهم، هو الذي يبرّر الجهاد الحربي. أما القول بتقسيم الجهاد إلى قسمين: جهاد ابتدائي، وجهاد دفاعي، فإنه يبقى في دائرة الشك. إذا كان الجهاد الابتدائي يعني أن يبدأ المسلمون بالقتال من أجل الدعوة، فإن هذا الأمر يحتاج إلى دليل وقناعة علمية غير متوفرة في الدراسات الرصينة. أما إذا بدأ المسلمون بالقتال رداً على عدوان سيحصل بالتأكيد من جانب أعدائهم الذين حشدوا الجيوش وأعدوا العدّة، فهذه مسألة أخرى، حيث يُصنّف المسلمون والحال هذه في حالة دفاعية، ذلك أن تخاذلهم، أو سكوتهم، سيؤدي إلى هزيمتهم وإلحاق الأذى بهم وبالإسلام. وعليه، فإن الجهاد الحربي هو جهاد دفاعي في أصله وجوهره، وفي هدفه الكبير، ألا وهو رد العدوان. هذا لا يعني أن المسلمين لن يلجأوا إلى القتال، وأنهم في حالة سلمٍ دائم. المسألة تتحدد بمقدار ما يتوفر من أمن وأمان لهم ولدعوتهم، ذلك لأن الدعوة في أساسها لا تقوم على الإكراه كما أشرنا. ثم إن الجهاد الحربي هو الوسيلة المعتمدة إذا لم تُفلح الوسائل الأخرى في إحلال الأمن، وتمكين المسلمين من الدعوة إلى الإسلام، ومن الدفاع عن بلادهم. فمن بين تلك الوسائل، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والنهي عن المنكر والبغي، أي الإفصاح عن العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية بعيداً عن الإكراه، سواء أتى من جانب المسلمين أو من جانب أعداء الإسلام الذين يريدون الشرّ للمسلمين،

---

(٢٤) **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين**، تأليف خميس بن سعيد بن الرستاقي، ج٨، تحقيق سالم بن الحارثي، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ص١٠٤.

(٢٥) محمد جواد مغنية، **فقة الإمام جعفر الصادق**، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥، ص٢٦٤.

(٢٦) عبد التواب مصطفى، **العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام**، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٠٥.

(٢٧) عبد المنعم الحنفي، **موسوعة القرآن العظيم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤، ج٢، ص١٨٨٤.

ويخططون لاحتلال بلادهم.

بين الجهاد والمقاومة

مصطلح المقاومة حديث العهد في القانون والسياسة الدولية، وهو ينطوي على فعل مواجهة الاحتلال الاستعماري لبلاد المسلمين أو للبلدان النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. يقول ابن منظور في **«لسان العرب»**: «تقاوموا في الحرب، أي قام بعضهم لبعض».

إن المقاومة لا تعني فقط مقاومة المحتل بالسلاح، بل يمكن أن تأخذ وسائل مختلفة: مقاومة سلمية من خلال العصيان المدني، كما قاوم المهاتما غاندي الاستعمار البريطاني في الهند؛ أو مقاومة اقتصادية من خلال مقاطعة البضائع والسلع للدولة القائمة بالاحتلال؛ أو مقاومة ثقافية وفكرية من خلال توعية الناس بحقيقة الاحتلال ومخاطره. بيد أن المقاومة لا تكون فقط في مواجهة دولة الاحتلال، بل يمكن أن توجّه ضد البغي والظلم والاستبداد، أي يمكن أن تكون داخل الدولة الواحدة بين فئة معارضة ونظام الحكم القائم، أو بين فئة وفئة أخرى مناوئة لها.

نتوقف عند مقاومة الاحتلال، فنجد بينها وبين مفهوم الجهاد فعل مشترك يتمثل بعدم قبول الاحتلال والعمل على تصفيته والتحرر منه. ذلك بوسائل عسكرية - قتالية - أو بوسائل الصمود الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي.

إن الجهاد عند احتلال بلاد المسلمين «فرض عين»، على ما وجدنا. أما في حالة المقاومة التي تأخذ طابعاً وطنياً أو سياسياً، فيمكن أن تطاول قطاعاً واسعاً من الشعب، خاصة قطاع الشباب القادر على استخدام السلاح. وبقدر ما تتوفر الإمكانات المادية والتنظيمية لإنجاز التعبئة العامة، بقدر ما تقترب المقاومة من فرض الجهاد، مع الإشارة إلى أن الجهاد يتحقّق بتعبئة إسلامية - دينية، بينما تتحقق المقاومة بوسائل متعدّدة للتعبئة بينها عامل الإيمان الديني.

إذا كانت الشريعة الإسلامية قد حرّمت الاحتلال، ونهب ثروات الشعوب وموارد الأرض، فإن القانون الدولي العام اعترف بحق مقاومة الاحتلال والعدوان. ذلك بدءاً بمؤتمري لاهاي (١٨٩٩ و ١٩٠٧) اللذين أقرّا مشروعية المقاومة، سواء كانت بأمر من حكومة البلد المحتل، أو بدافع وطني من الشعب الرازح تحت الاحتلال، وصولاً إلى حق الدولة في الدفاع عن نفسها، كما أقرّ ميثاق الأمم المتحدة؛ ولاحقاً باتفاقيات جنيف في العام ١٩٤٩ التي أشارت إلى ظاهرة المقاومة الشعبية، وضرورة حماية المدنيين أثناء الأعمال الحربية. . . . ثم تطور فقه القانون الدولي تدريجياً حتى بلغ مرحلة تحديد الشروط القانونية للمقاومة المنظمة، وبينها:

١ - أن تكون المقاومة تحت قيادة معروفة تُصدر الأوامر.
٢ - أن تكون لها علامة مميزة، أو إشارة معروفة.
٣ - أن تحمل أسلحتها بشكل ظاهر.
٤ - أن تنفّذ عملياتها الحربية طبقاً لقوانين الحرب.[٢٨]

ثمة تشابه بين هذه القواعد الوضعية وقواعد الجهاد الحربي من حيث وجود إمام، أو ولي أمر، يتولى الإمرة؛ وكذلك من حيث ضرورة احترام القواعد الإنسانية في القتال، التي سنتناولها لاحقاً في إطار قواعد الحرب التي حدّدتها الشريعة الإسلامية وفقهاء المسلمين.

إن مقاومة بلاد الفيتنام للاحتلال الفرنسي، ثم مقاومة الاحتلال الأمريكي، كانت مشروعة في ضوء أحكام القانون الدولي العام، وهي تماثل في مشروعيتها مقاومة

(٢٨) صلاح الدين عامر، **المقاومة الشعبية المسلحة في القانون الدولي العام**، دار الفكر العربي، ١٩٧٨، ص٤٩.

الجزائريين للاحتلال الفرنسي، حيث لعب الإسلام دوراً تعبوياً أساسياً في دفع الجزائريين إلى الجهاد ضد «الفرنسة»، وذلك من خلال مجهودات جمعية علماء المسلمين الجزائريين. والظاهرة الإضافية في الجهاد الحربي ضد الاحتلال هي توفر عامل التعبئة الدينية بسبب الخشية على تهديد الهوية الإسلامية للبلد الواقع تحت الاحتلال.

أما اغتصاب فلسطين، وتشريد أهلها بالعدوان، ثم انتهاك الحرم القدسي (المسجد الأقصى)، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فإنه فعل جرمي يستوجب المقاومة والجهاد. إنه يستوجب مقاومة شعب فلسطين بجميع الوسائل لتحرير بيت المقدس والتخلّص من الاحتلال، ويستوجب كذلك إعلان الجهاد العام داخل فلسطين. وإذا لم يتمكن الفلسطينيون من رد الهجمة الصهيونية الإسرائيلية بمفردهم، فإن الجهاد يصبح فرضاً على البلاد العربية والإسلامية كذلك. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم مقاومة الاحتلال في فلسطين يتجاوز المفهوم العسكري التقليدي ليشمل جميع أنواع المقاومة. وكذلك فإن الجهاد لا يقتصر في أعماله على القتال الحربي فحسب، وإنما يشمل كذلك جميع أنواع الجهاد وبوسائل مختلفة. أما السبب الأساسي في كل ذلك، فهو الخشية من سقوط مقدسات المسلمين وبلادهم أمام الغزوة الصهيونية.

الجهاد وتهمة الإرهاب

إنّ من أخطر الاتهامات التي وجهت ضد الإسلام تهمة الإرهاب، مع أن التفجيرات التي حصلت في نيويورك وواشنطن يوم ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ مدانة شرعاً، ومدانة إنسانياً وأخلاقياً. على أن هذه الحادثة الرهيبة لا تبرّر التهجّم على الإسلام والمسلمين تحت ذريعة مكافحة الإرهاب وكأن صفة الإرهاب، هي لصيقة بالإسلام!

على الرغم من صعوبة تعريف الإرهاب، والمجهودات العالمية الضخمة التي بُذلت في هذا الصدد، فإن مصطلح «الإرهاب» ينطوي على نشر الخوف والرعب في صفوف الأبرياء والمدنيين، أي تهديد أمنهم. والأمن بلا شك نعمة يعيشها الإنسان، وبدونها تضطرب حياته جذرياً. لهذا اعتبرت الشريعة الإسلامية أن تهديد أمن الناس الأبرياء من أعظم الجرائم التي يعاقب عليها [٢٩]. أما تذرّع أعداء الإسلام والمسلمين – الذين يضمرون الحقد – بالآية الكريمة: **﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوّ اللّه وعدوّكم﴾** [٣٠]، للنيل من الدين الحنيف ورميه بتهمة الإرهاب، فهو هراء. إن الإعداد المطلوب هو لمواجهة العدوان، وإرهاب المعتدين – أي إخافتهم – هو لوقف العدوان، وليس لسفك الدماء والقتل. ولقد اقترنت الدعوة القرآنية إلى الجهاد بعبارة «في سبيل اللّه» نحو ٧٦ مرة. إنها عبارة تعني الجهاد في ما أمر اللّه به من خير عام، وليست للإرهاب وبث الذعر بين الناس.

الإرهاب ظاهرة عالمية موجودة في العالم الإسلامي، كما هي في الغرب وسائر مناطق العالم. وكانت جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي قد دعتا إلى مكافحة الإرهاب، وبذلتا جهوداً لافتة لتحديد معنى الإرهاب قبل وقوع أحداث ١١ أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية. ففي مؤتمر وزراء الداخلية العرب في القاهرة، بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٢، أُقرت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي حدّدت معناه ببثّ الذعر وإشاعة الرعب في أوساط المدنيين، وبتدمير المنشآت الخاصة والعامة. ثم عادت منظمة المؤتمر الإسلامي، على مستوى وزراء الخارجية، في مؤتمر بوركينا فاسو سنة ١٩٩٩ لتتبنّى التعريف نفسه، ولتدعو إلى مقاومة الإرهاب.

إن الخلط بين الجهاد والإرهاب عند نفر من المسلمين المعارضين لسياسات حكوماتهم بحجة مواجهة بغيها

(٢٩) يوسف القرضاوي، **الجهاد والإرهاب**، مؤتمر الإسلام والغرب في عالم متغيّر، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، ١٣-٢٠٠٣/١٢/١٦.
(٣٠) سورة الأنفال (٨): الآية ٦٠.

وظلمها، واعتمادهم لوسائل عنف هي أقرب إلى الأعمال الإرهابية، غير مبرّر. فتهديد الوحدة الداخلية، والنيل من الاستقرار العام أو الأمن الوطني، عمل غير مشروع. أما في حالة تعرّض بعض المسلمين للظلم، فإن دفع الظلم لا يسوّغ إيذاء المدنيين والإضرار بالمصالح العامة للمجتمع والدولة، إذ «من الثابت فقهياً أن أدلة مشروعية دفع الظلم والمجازاة عليه لا تشمل صورة الرد بالأعمال المحرّمة في الشريعة من قتل الأبرياء وجرحهم، وتدمير أو تخريب الأموال العامة والخاصة، أو بما يلازم ذلك ويترتب عليه بأي وجه من الوجوه» [٣١]. أما مواجهة الاحتلال والاستعمار، خاصة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والأراضي العربية، فهي مشروعة في إطار المقاومة وما فيها من ضوابط، وفي إطار الجهاد الحربي وما يحمله من مشروعية. ذلك أن الخلط بين مقاومة الاحتلال والأعمال الإرهابية، بشكل يؤدي إلى إلصاق تهمة الإرهاب بمقاومي الاحتلال، يتنافى مع القانون الدولي الوضعي بمثل ما يتنافى مع أحكام الشريعة.

إن صعوبة تحديد الإرهاب وسُبل مواجهته تنبع من صعوبة وضع حدٍّ بين أعمال العنف المشروعة وأعمال العنف غير المشروعة. فالإرهاب الذي تقوم به جماعات مدنية (عصابات إجرامية) هي أقرب لجريمة الحرابة في الفقة الإسلامي، وهي محرّمة. وإرهاب الاستعمار، الذي عرفته البلاد العربية والإسلامية من خلال تسلّط القوة الإستعمارية؛ واستطراداً، إرهاب الاستيطان الإسرائيلي أو الإحلالي في فلسطين، هو عمل يتنافى مع الشريعة. أما إرهاب الدولة من خلال عدوانها على المسالمين والآمنين، فهو مرفوض شرعاً ووضعاً. ويبقى أن الإرهاب الدولي الذي يطاول العالم كله، ويهدد أمنه وسِلمه، هو أخطر أنواع الإرهاب لأنه يهدد حياة الإنسانية ومستقبلها.

إن الحديث عن «إرهاب مشروع» في مواجهة السلطة الجائرة، أو الإحتلال، أو الإستعمار... هو حديث خاطىء. فالإرهاب لا يتمتّع بالمشروعية، أما المقاومة فهي عمل آخر ومن نوع آخر. ذلك لأن المقاومة لا تعتمد وسائل غير مشروعة في نضالها وكفاحها، وإنما تنظّم وسائلها في ضوء أحكام الوضع أو الشرع، أو في ضوء أحكامها معاً.

مجمل هذه المحددات لا تلغي حقيقة اختلاف الفقهاء حيال مشروعية العنف المسلح، خاصة في مواجهة السلطة الحاكمة، أي في حالة العنف الداخلي بين أبناء البلد الواحد، أو الدولة الواحدة. منهم من قال بعدم مشروعية استعمال العنف المسلح، كالشيخ المفيد[٣٢]، وأبو الحسن الأشعري [٣٣]. ومنهم من قال بمشروعية استعمال العنف المسلح، انطلاقاً من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كالإمام ابن حزم، والشريف المرتضى [٣٤]. إن هذا الاختلاف يكشف عن صعوبة تحديد الحكم الشرعي حيال موضوع العنف المسلّح، وكيف إذا كان الأمر يتعلق بالإرهاب الذي لم يجد في عصرنا تعريفاً دولياً جامعاً بعد؟

عند وقوع الاختلافات بين الفقهاء، أو بين قضاة القانون الوضعي، نعود إلى المبادىء العامة. في الإسلام، نعود إلى مبادىء الوحدة الإنسانية والحرية، والعدالة، والسِلم، والأمن بين الناس. وفي القانون الدولي العام، نعود إلى ضرورة حفظ السِلم والأمن الدوليين وحماية حقوق الشعوب وحقوق الإنسان بغير تمييز بين البشر على أساس الجنس أو الدين أو العرق أو اللون أو اللغة... في كلتا الحالتين تبقى إنسانية الإنسان هي الهدف، وهي المرتجى، ومن أجلها يجاهد الإنسان ويسعى في الأرض، وفي سبيلها يقاوم المقاومون بعيداً عن الإرهاب والترهيب إلا ما يبيحه القانون العام وما تقرّه الشريعة الإسلامية.

---

(٣١) محمد مهدي شمس الدين، فقه العنف المسلح في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٧.

(٣٢) الشيخ المفيد محمد بن النعمان الحارثي، ٣٣٦-٤١٣هـ.

(٣٣) أبو الحسن الأشعري، ٢٦٠-٣٢٤هـ.

(٣٤) السيد الشريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي، ٣٥٥-٤٣٦هـ.

(٢)

مرة أُخرى: جدار الفصل العنصريّ *

إسرائيل تحتمي خلف الجدران الإلكترونيّة

المحامي سفيان الشوّا **

العقلية اليهودية لم تتغير، بالرغم من أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين. فهي ما زالت عقلية الغيتو اليهودي، أي حارة اليهود.

لقد استمر اليهود عبر العصور المختلفة يعيشون في عزلة عن باقي الشعوب التي يعيشون بينها. وكانوا يعيشون دوما في أحياء متجاورة داخل المدينة الواحدة في بيوت كأنها قلاع أو حصن مجاورة لمدن أخرى! فكان من الطبيعي أن نجد حارة لليهود في أي مدينة يتواجدون فيها. ولا ندري سر هذا التصرف العجيب من اليهود، بالرغم من مرور مئات السنين على هذا السلوك. فهل هذا تلبية لأوامر الرب يهوه؟ أم أن عزلتهم هي نتيجة لإيمانهم أو اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار؟ وهكذا نرجع إلى خرافات اليهود القديمة المتجددة حول الوعد الإلهي وهيكل سليمان، وأنهم فوق الجميع... إلخ..

ربما يرجع ذلك إلى الخوف الدائم في قلوب اليهود؟ أو ربما يكون بسبب الحقد على باقي شعوب العالم تنفيذاً لتعليمات الرب يهوه. ومهما كان السبب، فهذه حقيقة لا مجال لإنكارها، وإن كنا نبحث عن سببها إلى الآن. واستمراراً لهذا النمط من العيش، لم يكن مفاجئا لأحد أن تقرر الحكومة الإسرائيلية برئاسة الجنرال أرئيل شارون الاحتماء خلف الأسوار الإلكترونية بحجة البحث عن الأمن للشعب اليهودي، بعد فشل القوات الإسرائيلية المدججة بجميع أنواع السلاح المتدفق عليها من الولايات المتحدة الأمريكية مجانا دون مقابل تحت اسم المساعدة العسكرية الأمريكية.

لم تستطع تلك القوات تحقيق الأمن للشعب اليهودي أمام الهجمات الاستشهادية الفلسطينية من شباب وشابات اخترقوا جميع الحواجز الإسرائيلية التي أقامها الجيش الإسرائيلي، بما في ذلك الجدار الأمني، خاصة أن قطعان اليهود اغتصبوا وطنهم، مما جعلهم يقدمون أجسادهم في سبيل الله وفي سبيل تحرير وطنهم.

وكان الرد من الجنرال شارون هو اختيار الأسوار الإلكترونية لحماية الشعب اليهودي. والعالم كله يعرف الجنرال شارون. فهو لم يحرص في يوم من الأيام على إيجاد حل سلمي لهذا الصراع. وهو

* أنظر العدد الماضي من مجلّة **المنتدى** (٢١٧+٢١٨): «جدار الفصل العنصريّ: جدار الضمّ والتوسّع والتّهجير»، للمحامي فخري العملة؛ ص٢٠-٣١.

** مستشار قانوني.

مشهور بحبه الشديد لسفك الدماء، وله باع طويل في ارتكاب المجازر الوحشية التي لا ينكرها، بل يتباهى بها، وكأنه يعتبرها وساما في سجل الشرف الدامي الذي يحمله على صدره، والذي بفضله أصبح رئيساً للوزراء في إسرائيل.

ليس سراً أن دولة اليهود هذه الأيام عبارة عن ترسانة هائلة من الأسلحة التقليدية، والأسلحة البيولوجية، والأسلحة الجرثومية، وأخيرا الأسلحة الذرية. وهذه كلها مما يطلق عليها أسلحة الدمار الشامل. وبالرغم من هذه الأسلحة، فإن إسرائيل تستغيث لإنقاذها!

كان طبيعياً أن ينتخب اليهود رجل المهمات الصعبة، رجل المجازر الجماعية. فتم انتخاب الجنرال شارون مباشرة من المواطنين في إسرائيل ليكون رئيساً لوزرائها، اعتقاداً منهم أنه منقذ لهم!

وفشل الجنرال شارون في توفير الأمن لليهود، بالرغم من أنه ضرب بقوة، فلم يبق في القاموس العسكري الذي يجيده من كلمات إلا استعملها. وللأسف فشل، فلم يبق أمامه سوى خيار أحمق وهو الاحتماء خلف الأسوار الإلكترونية، مع أن هذه حماقة أثبتها التاريخ في جميع العصور، إذ إنها مزيج من قمة الجبن وقمة الحماقة تؤدي إلى القناعة في بناء سور أمني يحيط بإسرائيل من كل الجهات!

وفعلاً قرر الجنرال شارون بناء جدار شاهق يصل ارتفاعه إلى أكثر من خمسة عشر قدما، معتقدا أن هذا الجدار سوف يجلب الحماية والأمن لليهود في إسرائيل.

ومما هو جدير بالذكر أن عمالقة الصهاينة واليهود تراودهم فكرة الجدار منذ قديم الزمان، ولم يتخلوا عنها مطلقاً، إذ كانوا يريدون بناء هذا الجدار منذ مدة طويلة، أي بعد وصولهم إلى فلسطين في القرن العشرين.

إن الإرهابي جابوتنسكي، وهو الأب الروحي لحزب الليكود في إسرائيل، نادى ببناء جدار عازل بين المستعمرات اليهودية، التي أقامتها جماعات المهاجرين اليهود الذين قدموا إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم زمن الانتداب البريطاني على فلسطين بحراسة البنادق الإنجليزية، وباقي الأرض الفلسطينية سنة ١٩٢٣، حيث أصدر كتابه الشهير (الجدار الحديدي). ثم جاء بنحاس سابير، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، فطرح فكرة الجدار نفسها بين اليهود والفلسطينيين وأسماه (الجدار العازل). وكرر هذه الفكرة كثير من اليهود والصهاينة، خاصة في أمريكا، حيث أطلقوا على الجدار اسم (الحائط النووي). واستمرت الفكرة في ذهن القادة الإسرائيليين يتداولونها جيلاً بعد جيل إلى أن طرحها الجنرال إسحق رابين، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق.

لكن يبدو أن القدر لم يسمح لأي من هؤلاء بتنفيذ هذا الحلم الإسرائيلي إلى أن وصل الجنرال شارون إلى الحكم فقرر تنفيذه. وفعلاً بدأ ببناء الجدار العازل. ولا ندري إذا كانت هذه هي رغبة الأب يهوه؟ أم إنها مجرد صدفة؟ وإن المشكلة التي تثير الرثاء أن شارون يزعم أنه سوف يبني سوراً أمنياً يحيط بإسرائيل. وكلنا يعلم أن إسرائيل ليس لها حدود جغرافية مثل باقي دول العالم!

إن فكرة الاحتماء خلف الأسوار الحصينة هي فكرة قديمة جداً تعود إلى الأيام الأولى لتطور حياة الإنسان

وانتقاله من حياة البداوة إلى مرحلة السكن في المدن وحمايتها. ولعل حصان طروادة في صدر التاريخ يعتبر أشهر مثال على فشل الأسوار في حماية الإنسان وتوفير الأمن له. وإن تأمين الحماية خلف الأسوار، مهما كانت عالية أو متعرجة أو مكهربة... الخ.، قد فشل، والتاريخ مليء بالأمثلة:

سور طروادة العالي

فشل عن طريق استخدام حصان خشبي كان خدعة.

خط ماجينو الحصين

أقامته فرنسا على الحدود مع ألمانيا. إلا أن هذا الخط الحصين لم يمنع ألمانيا النازية من اقتحام فرنسا واحتلالها في الحرب العالمية الثانية. فهو لم يصمد أكثر من ثلاث ساعات فقط!

خط بارليف

وكذلك إسرائيل نفسها سبق لها أن جربت هذه الفكرة عندما بنت خط بارليف الشهير الذي أقامته على حدودها مع مصر، وتحديدا الضفة الشرقية لقناة السويس، ليكون حامياً لها أثناء احتلالها لسيناء. لكن خط بارليف هذا لم يجلب الأمن لإسرائيل، ولم يصمد أمام ضربات القوات المصرية الباسلة في حرب رمضان سنة ١٩٧٣، بالرغم من قوته ومناعته. فقد كانت إسرائيل تنام على وسادة من العسل معتمدة على قوة هذا السور ومناعته، إذ تم بناؤه بطريقة عصرية جداً ومبتكرة، باستخدام أحدث الوسائل المتوفرة في ذلك الوقت من إسمنت وحديد وقوة نيران هائلة. فكان عبارة عن استحكامات عسكرية مبنية بالإسمنت المسلح، وبينها خنادق مغطاة تربطها ببعضها البعض، ومحاطة بأسلاك شائكة وأسلاك كهربائية وحقول ألغام تجعل مجرد الاقتراب منها كارثة، إضافة إلى ما قيل عن غاز فيه لهب يضخ فوق مياه قناة السويس فيجعل العبور أمرا مستحيلا، إذ يحيل المياه إلى جحيم. لكن اتضح لإسرائيل أن هذا السور، وهو خط بارليف، لم يكن سوى وهم بالأمن، مجرد وهم لا يستند إلى الواقع، ويؤكد الحقيقة المرة، وهي:

أن الاحتلال لن يدوم مهما طال ومهما اتبع من أساليب الحماية لجلب الأمن للمستوطنين أو المستعمرين أو المحتلين، أو أي اسم آخر في الماضي وفي الحاضر أو في المستقبل. والأهم من ذلك أن العيش خلف أسوار عازلة مهما كانت لن يجلب الأمن مطلقاً، والتاريخ خير مدرسة لمن يريد أن يتعلم.

قررت الحكومة الإسرائيلية في شهر نيسان / إبريل سنة ٢٠٠٢ إقامة جدار أمني على طول الحدود الإسرائيلية مع الضفة الغربية البالغ طولها ٢٦٠ ميلا، وأن تبني جدارا عجيبا، فهو يبنى بارتفاع شاهق يصل إلى ١٥ قدم، وكذلك سوراً إليكترونيا مكهرباً بقوة (٥٠٠٠) فولت. ثم تحفر خنادق بجوار الجدار. ثم تقيم أسلاكاً شائكة. وبعد ذلك تضيف حقول ألغام بين السور والأسلاك الشائكة مع تثبيت كاميرات إلكترونية ترصد أي حركة على امتداد قطر طوله عشرة كيلو مترات، وإضافة أضواء كاشفة تثبت فوق أبراج خاصة تبنى فوق الجدار. وتقوم دوريات من القوات العسكرية الإسرائيلية بالحراسة على مدار الساعة في الليل والنهار، أي طوال ٢٤ ساعة يومياً!

وقيل إن الجيش الإسرائيلي يدرس حالياً مجموعة من الوسائل الدفاعية من خيارات غير تقنية، مثل حفر خنادق وقنوات مملوءة بالماء وإقامة الحواجز. وفي الوقت نفسه لم يستبعد الجيش الاسرائيلي الخيارات التقنية المتقدمة، مثل مجسات الأشعة تحت الحمراء،

والكاميرات الملونة، وبالونات المراقبة، والهوائيات الموجهة إليكترونيا.

ويعتقد الخبراء أن هذا الجدار بهذه المواصفات يحتاج إلى معدات ووسائل متطورة جدا، مما يكلف إسرائيل مبالغ طائلة. لكن من المؤكد أن تمويل هذا السور سوف يكون من الولايات المتحدة الأمريكية! فهي الأم الحنون لإسرائيل، خاصة وقت الضيق. وحيث أن الخزينة الإسرائيلية سوف تعجز عن توفير المبالغ اللازمة لبناء هذا الجدار الأمني بهذه المواصفات، فإنها بكل تأكيد سوف تتجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية طلبا للمساعدة بحسب العادة.

لقد أثارت إقامة الجدار الأمني، أو الجدار العازل، لحماية إسرائيل جدلا واسعا داخل إسرائيل نفسها، وانقسمت الآراء حوله انقساما حادا، خاصة بين المثقفين وبين العسكريين. فقد ظهرت في داخل إسرائيل مجموعات من أصحاب الآراء المؤيدة والرافضة لفكرة بناء الجدار، وهي كما يأتي:

أولا: مؤيدو الاحتماء خلف الأسوار

هذه الفئة من المؤيدين لفكرة الأسوار هم من أصحاب العقلية اليهودية الأصولية، وهم يتفقون مع تفكير الجنرال شارون وأمثاله من اليهود فلا يجدون في إقامته أي غضاضة، بالرغم من أن مجموعات كثيرة ترفضه وتعتبره نوعا من الإهانة لكرامة الشعب اليهودي، بل إنه الإذلال بعينه لكامل الشعب اليهودي في إسرائيل التي تزعم أن لديها جيشاً لا يقهر، وأنها تملك ترسانة جهنمية قاتلة من أسلحة الدمار الشامل التي تستطيع أن تسحق أي اعتداء قد يقع عليها، وأنها أقوى من الدول العربية مجتمعة، وأنها تملك صواريخ يصل مداها إلى أي هدف على الكرة الأرضية. وبالرغم من كل هذا فهي تهرب إلى الاحتماء خلف الأسوار أو الجدار.

الجنرال شارون يضرب بكل هذا عرض الحائط ويؤيد الجدار المحيط بإسرائيل، مؤكدا أن الجدار هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن أمن اليهود داخل إسرائيل، بالرغم من فشل الفكرة تاريخيا وعدم صمود الجدار في وجه أي اعتداء.

والأغرب من ذلك أن أسماء براقة في حزب العمل، لها جماهير عريضة وحضور شعبي كبير في المجتمع الإسرائيلي وتحظى بتأييد كبير من الشارع الإسرائيلي، تؤيد هذا الجدار، ومنهم حاييم رامون الذي يعتبر من أبرز قادة حزب العمل، حيث اعتمد في حملته الانتخابية التي خاضها لرئاسة هذا الحزب اليساري على شعار كبير هو :

إقامة جدار أمني حول حدود إسرائيل للفصل بين الفلسطينيين وإسرائيل!

وهذا أوجد أنصاراً لحزب الليكود داخل حزب العمل، وهو الحزب المنافس بقوة لحزب الليكود اليميني، مما سوف يؤثر قطعا على مركز الحزبين في الانتخابات الإسرائيلية القادمة، خاصة بعد أن تلاشت الفوارق بينهما، وذابت الخلافات العقائدية المزعومة التي كانت بينهما، وظهر الحزبان الكبيران في إسرائيل على حقيقتهما، فهما وجهان لعملة إسرائيلية واحدة.

وهكذا فقد وجدنا أن الجدار الأمني لحماية إسرائيل مرغوب فيه، وأن له تأييداً قوياً بين رجال السياسة، بل هناك من يؤيده من العسكريين. وعلى سبيل

المثال، فإن داني روثر نتشايلد من مجلس السلام والأمن، وهي مجموعة من العسكريين السابقين ومسؤولي المخابرات يؤيدون الجدار، يقول:

ليس أمام إسرائيل أي خيار سوى بناء خط يمنع الانتحاريين والمسلحين من العبور إلى إسرائيل.

وفي إحصاء أجرته مؤخرا جريدة هآرتس، وهي أوسع الجرائد الإسرائيلية انتشارا، حول بناء الجدار، أو السور الأمني، اتضح أن أكثر من ٦٠٪ من الإسرائيليين يؤيدون إقامة السور حول إسرائيل. وهذا يؤكد العقلية التوراتية المتعفنة التي تحكم إسرائيل، بل تحكم الشارع اليهودي بصفة عامة، فهم ما زالوا يعيشون بعقلية الجيتو أو حارة اليهود.

ثانيا: الذين يرفضون الاحتماء خلف الأسوار

إن الذين يرفضون خطة الجنرال شارون حول الأمن والحماية خلف الجدران يؤكدون أنها خطة بائسة وغير ممكنة لأنها سوف تجعل إسرائيل بحاجة إلى حماية عسكرية، خاصة المستوطنات البعيدة التي تقع خارج الأسوار. فالجدار لن يحل مشكلة المستوطنات. ويرى هذا الفريق أن الحل المطلوب لإسرائيل ليس بناء المزيد من الأسوار. فإن السور أو الجدار لن يجلب الأمن على الإطلاق. فنحن نعيش في العصر الحديث، عصر التكنولوجيا المتطورة، بما فيها الصواريخ التي لا تمنعها الأسوار ولا يقف الجدار في وجهها، وكذلك الأنفاق التي تحفر على مسافات عميقة ويستطيع الفدائيون الدخول بواسطتها إلى قلب إسرائيل، وقد جربت مرارا. إضافة إلى ذلك، فإن الحاجة هي أم الاختراع، فلن يعدم الفلسطينيون وسيلة جديدة لانتزاع حقهم المغتصب.

إن الحل يكمن في الجرأة على اتخاذ قرارات مفصلية جادة لمصلحة اليهود وقبولها من جيرانها العرب. ويتساءلون: ما هي فائدة اليهود إذا عاشت إسرائيل على شكل قلعة عسكرية محاطة بالأسوار الإلكترونية وسط بحر من الكراهية من جيرانها العرب؟ ويضيف أصحاب هذا الرأي قائلين: إن الأمثلة الكثيرة المنتشرة في التاريخ حول عقم الاحتماء خلف الأسوار يجب أن توضع أمام اليهود حتى تكون لهم عبرة. فإن الأسوار، مهما كانت متطورة وحديثة ومنيعة... الخ، تستطيع فقط إبطاء أو تأخير العدو وتقليل الهجمات، لكنها لن تقدم الحماية التامة الأبدية مطلقا، وهي ليست بديلا للحلول السياسية. وإن الحل السياسي الذي يتفق عليه الطرفان هو وحده الذي يجلب الأمن، أما غير ذلك فهو إضاعة للوقت وتبذير للأموال وتفكير بائس.

ثالثا: رأي غير اليهود في الجدار الذي تبنيه إسرائيل

من المفيد تكملة لهذا الموضوع أن نعرف رأي غير اليهود فيما تفعله إسرائيل أو تبنيه من جدار عازل أو جدار فاصل تحت اسم الجدار الأمني. فنجد الفلسطينيين مثلا يرون في هذا الجدار محاولة إسرائيلية جديدة للاستيلاء على المزيد من الأراضي الفلسطينية بحجة بناء جدار أمني. فهذا الجدار هو امتداد لقيود التنقل التي تفرضها إسرائيل داخل الأراضي المحتلة، وهم يرون فيه تمييزا عنصريا تقوم به الدولة وقوات الجيش بالقوة المسلحة، ويردون على ذلك باستهجان كبير. إلا أن موقفا إيجابيا يتخذه الفلسطينيون هو: إذا كانت غلطة الشعب الفلسطيني القاتلة سنة ١٩٤٨ أنهم أجبروا على الهجرة وصدقوا أن القوات العربية سوف تحرر فلسطين، فإن هذه

الخطيئة لن تتكرر أبدا مهما كلف الأمر.

أما المسلمون بصفة عامة، فإنهم يرفضون فكرة الجدار الأمني مهما كانت تسميته، خاصة أن العقيدة الإسلامية تحث على الجهاد لتحرير الوطن من الاحتلال اليهودي، ويسترشدون لذلك بالقرآن الكريم الذي ورد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله﴾.

(صدق الله العظيم)

هذه الآية صريحة في مضمونها، فهي تؤكد أن وعد الله حق في كل الكتب المقدسة!وهو يأمر المؤمنين منذ قديم الزمان بتحرير بلادهم. والمسلمون يؤكدون أن الأسوار لم تكن في يوم من الأيام مانعة من مقاومة الاحتلال، ، فهي لن تجلب الأمن لليهود، ولن تمنع المسلمين من الوصول إليهم إلا إذا توصل الطرفان إلى حل سلمي أو حل سياسي كما يحلو للبعض أن يسميه. فهل يسمع الجنرال شارون رأي اليهود ورأي المسلمين؟

أما الفلسطينيون، فكان قرارهم بتقديم شكوى إلى جمعية الأمم المتحدة لبحث مشروعية هذا الجدار، الذي تبنيه إسرائيل على أراض فلسطينية بقصد حماية بعض المستعمرات أو المستوطنات الإسرائيلية التي أقامتها في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين منذ حرب سنة ١٩٦٧، يستند إلى حقيقة أن إسرائيل تقطع أوصال الأراضي الفلسطينية وتصادر آلاف الدونمات من أرض الضفة الغربية بحجة بناء هذا الجدار.

وبعد مناقشات غاضبة في الأمم المتحدة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة:

أن تطلب من محكمة العدل الدولية في لاهاي – هولندا إبداء رأيها في النتائج القانونية للجدار، وذلك في شهر ديسمبر سنة٢٠٠٣م.

وبتاريخ ٢٠٠٤/٧/٩ أصدرت محكمة العدل الدولية حكما بالأكثرية الساحقة يقضي: بعدم شرعية الجدار الذي تقيمه إسرائيل... وبإزالته! وبتعويض المتضررين منه ... ثم دعوة مجلس الأمن الدولي لإنهاء الوضع غير القانوني! وجاء في القرار أن المحكمة تعتبر أن بناء الجدار والنظام المرتبط به يوجدان أمرا واقعا على الأرض المحتلة من المحتمل أن يصبح أمرا دائما. وفي هذه الحال، وأيا كان الوصف الرسمي الذي تعطيه إسرائيل للجدار، فإن بناءه سيوازي عملية ضم بحكم الأمر الواقع لأراض فلسطينية محتلة، وهذا يخالف القانون الدولي. وجاء في نص الرأي الاستشاري الذي تلاه أعضاء محكمة العدل الدولية في جلسة علنية: خلصت المحكمة إلى أن بناء الجدار يشكل عملا لا يتطابق مع التزامات قانونية دولية كثيرة مفروضة على إسرائيل. وعددت المحكمة، بين انتهاكات القانون الناتجة عن بناء الجدار، إعاقة تنقل الفلسطينيين وحركتهم، وإعاقة حقهم بالعمل والصحة والتعليم ومستوى حياة كريمة كما تنص عليه القوانين الدولية.

ورأت المحكمة في المقابل أن حق إسرائيل في الدفاع عن النفس لا يبرر هذه الانتهاكات للقانون الدولي.

وقالت في حكمها المذكور إن الانتهاكات الناتجة عن مسار الجدار لا يمكن أن تبررها المتطلبات العسكرية وضرورات الأمن الوطني أو النظام العام.

ودعا الحكم إسرائيل إلى تفكيك أجزاء الجدار التي تم بناؤها في الأراضي المحتلة في الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية. ورأى القضاة أن على إسرائيل أن تضع حدا لانتهاكاتها، وأن توقف فورا أعمال بناء الجدار الجارية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس ومحيطها، وأن تفكك فورا ما تم بناؤه حتى الآن.

ووجهت المحكمة نداء إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي من أجل وضع حد للوضع غير القانوني الناتج عن بناء الجدار الإسرائيلي.

وقال القضاة: على الأمم المتحدة، لا سيما الجمعية العامة ومجلس الأمن، أن تنظر في ماهية العمل الإضافي الضروري من أجل وضع حد لهذا الوضع غير القانوني الناتج عن بناء الجدار. وأضافوا أن كل الدول ملزمة بعدم الاعتراف بالوضع غير القانوني الناتج عن بناء الجدار، وبعدم القيام بأي عمل يساهم في المضي فيه. كما طالبت المحكمة بتعويضات للفلسطينيين الذين تضرروا من بناء الجدار.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحكم بعدم بناء الجدار صدر بأغلبية ١٤ قاضيا من أصل ١٥ قاضيا، فلم يعارضه سوى القاضي الأمريكي توماس بيرغنتال! واعتبر هذا الحكم الصادر من أعلى محكمة دولية في العالم ضربة قاسية إلى إسرائيل وإلى الجنرال شارون وأفكاره التوراتية البالية! فهو لا يستطيع العيش بعيداً عن المجازر البربرية والعنف الذي يحلم به. فهذا هو الذي جعله رئيسا لوزراء إسرائيل، بل زعيما لإسرائيل. لكنه سوف يعرف الحقيقة، كما قال امبراطور اليابان وهو يوقع وثيقة استسلام اليابان في الحرب العالمية الثانية؟

فكما هو معلوم، إن الولايات المتحدة الأمريكية قصفت المدن اليابانية بالقنابل الذرية! فقتلت مئات الألوف من اليابانيين ، إضافة إلى الإشعاع الذري الذي خلف معوقين بدون عدد بعد تدمير مدينة هيروشيما ومدينة نجازاكي تدميرا لم يشهد التاريخ مثيلا له، مما أجبر اليابان على الرضوخ لطلب أمريكا، وهو:

الاستسلام بدون قيد أو شرط. وزيادة في إذلال اليابان، اشترطت أمريكا أن يقوم الإمبراطور بنفسه بالتوقيع على وثيقة الاستسلام نظرا لأن اليابانيين يحترمونه ويحبونه لدرجة تكاد تصل إلى العبادة، فهو ابن الشمس.

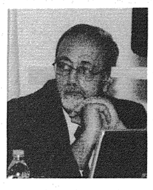
ووافق الإمبراطور على الاستسلام حرصا على سلامة شعبه. وأثناء التوقيع لاحظ الجنرال الأمريكي أن الإمبراطور يوقع دون أن يقرأ الوثيقة. فسأله: يا سيدي الإمبراطور، هل قرأت الوثيقة التي توقعها؟ فأجابه الإمبراطور بحدة وحزم: ألستم المنتصرون الآن ؟ فلماذا أقرأ شروطكم؟ ثم أردف الإمبراطور قائلا: في المستقبل القريب سوف تثبت لكم الأيام من هو المنتصر؟

وفعلا صدقت كلمات الإمبراطور بعد وقت قليل. فهل تتعظ إسرائيل بقيادة الجنرال شارون أو غيره من تجارب العالم؟

■

محاضرة سامي هداوي التذكارية [1]

المسيحيّون الفلسطينيّون والعرب: التحدّيات المستقبليّة



د. برنارد سابيلا [2]

الأستاذ سامي هداوي

ولد الأستاذ سامي هداوي عام ١٩٠٤ في القدس. وقد قضى حياته وهو يعمل من أجل تحقيق العدل للشعب الفلسطيني. فقبل أن يضطر للنزوح عن بلده الحبيب فلسطين، عمل في الحكومة الأردنية ثم في هيئة الأمم المتحدة للمصالحة الفلسطينية. وأصبح مديراً لمعهد الدراسات الفلسطينية في بيروت حين بلغ الحادية والستين من عمره. وفي صراعه من أجل تحرير بلده من الاحتلال الصهيوني، تحدث بذكاء ومعرفة عن المظالم التي ارتكبت في فلسطين. وقد ضمت بعض مؤلفاته: **«فلسطين: ضياع إرث»** (١٩٦٣)، و**«الحقوق والخسائر الفلسطينية في ١٩٤٨»** (١٩٨٨)، و**«الحصاد المر: التاريخ الفلسطيني المعاصر»** (١٩٩١).

مات الأستاذ هداوي في ٢٢ نيسان/إبريل ٢٠٠٤ في تورنتو عن عمر بلغ مئة عام. وقد كان أمراً مأساوياً أن يقضي هذه الأعوام قبل أن يدرك تحرير بلده من الاحتلال، وأن يموت بعيداً عن تراب وطنه وهو ما زال مهاجراً مثل كثيرين من إخوانه الفلسطينيين في الشتات اليوم.

---

(١) عقد هذا اللّقاء [رقم (٢٠٠٤/١٠)] في مقرّ المنتدى؛ ٢٠٠٤/٩/٢٢.

(٢) المدير التنفيذي/ دائرة الخدمة للاجئين الفلسطينيين، مجلس كنائس الشرق الأوسط؛ أستاذ مشارك/ علم الاجتماع/ دائرة العلوم الاجتماعية/ جامعة بيت لحم/ الأراضي الفلسطينية. أنظر السيرة الذاتية للدكتور برنارد سابيلا في الصفحة اللاحقة.

في ذمة الله: سامي هداوي

د. سامي خوري *

لقد طوى تراب تورنتو بكندا جسد سامي هداوي، صاحب كتاب «الحصاد المرّ»؛ حصاد اليهود دون حق في فلسطين. وقد طوى ذلك الجسد تراب الغربة؛ حيث إنّ سامي هداوي فلسطيني المولد والتبعة، عربي القلب.

سامي هداوي، أحد أزهار فلسطين التي أذبلتها سنين الهجرة والحرمان نفسياً؛ لكن عبيرها وعطاءها بقي حتى انتقاله إلى رحمة الله.

عمل سامي هداوي مع الانتداب البريطاني في القدس في دائرة الأراضي، تلك الدائرة التي احتوت قيودها كل أسماء أصحاب أراضي فلسطين ومالكيها. وبجهود سامي وضعت هذه القيود والوثائق على أفلام احتفظت بها دولة الانتداب وهيئة الأمم والدول العربية أصحاب الشأن، بما فيها المملكة الأردنية الهاشمية.

ومن مواقع عمله في فلسطين والأردن وهيئة الأمم والجامعة العربية، كان قد رفع مئات التقارير والوثائق لما آلت إليه فلسطين وأهلها من فقرٍ وتدميرٍ وتشريد.

سيبقى اسم سامي هداوي مرتبطاً مع أسماء قوافل الأعلام الذين كرّسوا وأعطوا سنين طويلة من حياتهم، مناضلين من أجل حرية بلدهم وبقاء تراثهم. فإلى ذمة الله يا سامي هداوي.

عن الدّستور (بتصرّف طفيف)

* مستشفى فلسطين؛ عمّان.

الدكتور برنارد سابيلا

ولد الدكتور برنارد سابيلا في القدس عام ١٩٤٥، وهو متزوج من ماري وله ابنتان وابن هم مارغريت وزكريا ومنى.

- أستاذ مشارك / علم الاجتماع/ جامعة بيت لحم ١٩٨١ - ٢٠٠٤.
- مدير تنفيذي / دائرة الخدمة للاجئين الفلسطينيين/ مجلس كنائس الشرق الأوسط/القدس ١٩٩٧-٢٠٠٤.
- دكتوراة علم الاجتماع ١٩٨١ وماجستير علم الاجتماع ١٩٧١ / جامعة فيرجينيا/الولايات المتحدة.
- بكالوريوس علم الاجتماع ١٩٧٠ كلية فرانكلين ومارشال/ الولايات المتحدة.
- مدرسة الفرير الثانوية ١٩٦٤.

المنشورات (بعضها):

«مقدمة في علم الاجتماع» ١٩٨٣/جمعية الدراسات العربية /القدس.

«هجرة المسيحيين العرب: أبعاد الظاهرة وأسبابها» تورينو/ايطاليا ١٩٩٥.

«موعد مع الديمقراطية: الفلسطينيون حول المجتمع والسياسة: دراسة مسحية» / فرايبورغ/ألمانيا ١٩٩٦.

«التحولات الديمغرافية في القدس والضفة الغربية»/المؤتمر الإقليمي العربي للسكان - القاهرة ١٩٩٦؛ ص١٧٧-١٩٩٦.

«المسيحيون الفلسطينيون: الواقع والآمال» / لندن ٢٠٠٠.

« المسيحيون الفلسطينيون والانتفاضة الثانية»/ السويد ٢٠٠٤.

تقديم الأمين العام

سيّدي صاحبَ السُموّ الملكيَ، رئيسَ المنتدى ومؤسّسَهُ وراعيه؛
الحضورُ الكرام:
أُرحِّبُ بكم في هذه الأُمسيةِ الاستثنائيّة. وهي استثنائيّةٌ لأسبابٍ عِدّة:

السّببُ الأوّل أنّ صاحبَ المبادرةِ والفكرة وراء هذه المحاضرةِ التّذكارية، سيّدي سموَّ الأمير، هو الذي سيُديرُها مشكوراً. وهذا شرفٌ عظيم، خصوصاً إذا عرَفتمْ مدى انشغالِ سموِّه في ليلِه ونهارِه.

السّببُ الثّاني أنّ المحاضرةَ تُحْيي ذكرى إنسانٍ كبير، المرحوم سامي هَداوي، الذي عاش وقَضى في سبيل فلسطين.

السّبب الثّالث أنّ الدّكتور المُحاضر حُجّةٌ في مَوْضوعه. وهو مَوْضوعٌ استأثرَ باهتمامِ صاحب الذّكرى طيلةَ حياتِهِ العمليّة.
أُرحِّبُ بكم ثانيةً؛ راجياً أنْ يتفضّلَ سيّدي سموّ الأمير بإدارة اللّقاء في **أمسيةِ الوفاء** هذه.
والسّلام.

تَقْديم صاحب السُمُوّ الملكيّ الأمير
الحسن بن طلال

بسْمِ الله الرّحمن الرّحيم

والصّلاةُ والسّلام على نبيّه الأمين وعلى آلِهِ وصحْبِه ومَنْ والاهُ أجْمعين

أيُّها الأحبّاء:

السّلامُ عليْكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه:

نعم؛ إنّها أُمسيةُ وفاء: وفاءٌ للأرض التي منها نَبَتْنا وإليها نعود. وفاءٌ لابنٍ بارّ من أبناء فِلَسْطين، التي عَرَفَ أرضَها الطَّهُور شِبْراً شِبْراً. فحين كان المرحوم سامي هَداوي مسؤولاً عن دائرة ضريبة الأراضي زمنَ الانتدابِ البريطانيّ في فِلَسْطين، استوْعبَ الداخِلَ والمخارج وكُلَّ الأحابيل التي أدّتْ إلى استيلاء اليهود على حوالَيْ مليونْ دونم من أرضِ فلسطين آنذاك. من هنا كان عملُهُ حُجّةً في أملاك العرب هناك؛ وكأنّ الزّمنَ توقّفَ عندَهُ عامَ ١٩٤٨.

اذْكُروا معي بعضَ مؤلّفاتِهِ التي أملاها على وجْدانِهِ القَهْرُ والغَضَب:

- [فِلَسْطين: خسارةُ تُراث] *Palestine: Loss of a Heritage (1963)*
- [حقوقُ الفلسطينيّين وخسائرُهم في ١٩٤٨ *Palestinian Rights and Losses in 1948 (1988)* (بالاشتراك مَعَ عاطف قُبُرصي)]
- [الحَصَاد المُرّ: تاريخٌ حديثٌ لِفلَسطين] *Bitter Harvest: A Modern History of Palestine (1991)*
- [مفكّرةُ فِلَسْطين *The Palestine Diary* (بالاشتراك مَعَ روبرت جون)]

نعم؛ إنّهـا أُمسيـةُ وفـاء لابن القُدْس التي وُلِـدَ فيهـا عـام ١٩٠٤ ومـات في الغُرْبـة، في مدينـة تورنتو الكَنديّة، قبْلَ خمسةِ أشهرٍ بالضّبط. لقـدْ نَشَرَ المرحـوم خريطـةً للأملاك العربيّـة في معشوقتِـه القدس، وأُعيدَ نشرُها في كتاب [القُدس ١٩٤٨] *Jerusalem 1948*، تحرير: سالِم تماري.

القدس، زهرةُ المدائن، مدينةُ السّلام؛ ذلك الرّمزُ الخالدُ من رموزِ الحقّ في الصّراعِ الأزليّ بيْن الحقّ والباطل. لقد أطلقْتُ مَعَ الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين، رحمَهُ الله، مشروعَ «القُدْس في الضّمير» لإبقاء بيْت المقدس ومُقدّساتِها حيّةً في ضمائرِنا وأفئدتِنا. لذلك لمْ أتوانَ لحظةً قبلَ بضعِ سنين في تأسيسِ مشروعِ القُدْس التّوثيقيّ في الجمعيّة العلميّة الملكيّة، بالتّعاونِ مَعَ جامعة هارفارد الأمريكيّة؛ ذلك المشروعِ الذي يُوَثّقُ مِلْكيّةَ كُلّ عقَار، بل كلّ شِبْر، في المدينةِ المقدّسة، بمحبّةٍ وحنان.

حين اقتربَتْ نهايةُ الرّجل الكبير، وَهَنَ البَدَن؛ لكنّ الرّوحَ ظلّتْ متأجّجةً حتّى آخرِ نَفَس.

وستبقى الشُّعلةُ فينا بإذْنِهِ تعالى، وفي الأولادِ والأحفاد وأحفادِ الأحفاد، حتّى يقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً.

الأخواتُ والإخوة:

لقد هُجِّرَ سامي هدَاوي من أرضِ أجدادِه، وتبِعَهُ رَتَلٌ من إخوانِهِ وخِلاّنِه. وها نحن ندقُّ ناقوسَ الخَطر، كما يدقُّهُ إخوةٌ لنا في كلّ بُقْعةٍ من بلادِنا.

واسمعوا التّفصيلاتِ المُذهلة، حقائقَ وأرقاماً، من فمِ مُحاضِرِنا وضَيفِنا اللّيْلة: **الدّكتور برنارد سابيلا**. وهُوَ مَنْ هوَ في موْضوعه، كما تروْن من سيرتِهِ العَطِرة التي بيْنَ أيديكم. كما أنّهُ ابنٌ آخَرُ من أبناءِ القُدس البَررَة.

فإليكَ أُحيلُ الأمر، دكتور سابيلا.

نصّ المحاضرة:
د. برنـــارد سـابيـلا

بداية اسمحوا لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال للفتته الكريمة بإطلاق المحاضرة التذكارية باسم الراحل سامي هداوي، الذي قضى حياته محاضرا وباحثا ومؤلفا في موضوع القضية الفلسطينية وتوثيقها بدقة، خاصة الأراضي والممتلكات العربية. إن كتاب هداوي «**الحقوق والخسائر الفلسطينية في ١٩٤٨: دراسة شاملة**»، الذي نشرته مؤسسة الساقي في لندن عام ١٩٨٨، قد أصبح عملا كلاسيكيا في الموضوع. والكتاب مهدى «لصاحب السمو الملكي الأمير حسن بن طلال الذي بدون اهتمامه ورعايته ودعمه لم يكن من الممكن إتمام هذه الدراسة». وقد حظيت بشرف خاص حين وجه لي سموه دعوته عن طريق الدكتور همام غصيب لأكون أول المحاضرين في تلك المناسبة في موضوع المسيحيين الفلسطينيين والعرب والتحديات المستقبلية وتحدياتهم التي هي تحديات الفلسطينيين والأردنيين والعرب، مسلمين ومسيحيين على حد سواء.

تضرب جذور المسيحيين العرب عميقا في أرض فلسطين. وكما تشير مذكرة رؤساء كنائس القدس في تشرين الثاني ١٩٩٤ حول القدس، فإن «المسيحيين في رؤيتهم الإيمانية يؤمنون بأن قدس الأنبياء هي مكان الخلاص خلال يسوع المسيح». وتقول المذكرة إن «القدس هي مكان الجذور تشع دوما بالحياة وتغذيها»، وإن «الكنيسة المحلية مع مؤمنيها كانوا دوما حاضرين في القدس يشهدون لحياة يسوع المسيح ووعظه وموته وقيامته في الأماكن المقدسة ذاتها. كما استقبلوا على مر العصور إخوة وأخوات في الإيمان حجاجاً مقيمين وعابرين، دعوهم للتعرف على المصادر المحيية والمغذية لإيمانهم». [١]

إن الغالبية العظمى للمسيحيين الفلسطينيين، الذين تقدر أعدادهم في العالم بخمسمئة ألف نسمة، هم ذووا جذور محلية يتكلمون اللغة العربية، ولديهم تاريخ عريق يصلهم بالكنيسة الأم، ويتواجد أكثر من ثلثيهم خارج الوطن، في حين بقي خمسون ألف مسيحي فلسطيني في الوطن موزعين بين الضفة الغربية، التي يقطنها سبعة وأربعون ألفا، وقطاع غزة، الذي يقطنه ثلاثة آلاف مسيحي فلسطيني. وهكذا فإن المسيحيين في فلسطين لا تتجاوز نسبتهم ١,٤٪ من جميع الفلسطينيين، الذين يقدر عددهم بـ ٣,٦ مليون في العام ٢٠٠٤ في الأراضي الفلسطينية. ويتوزع المسيحيون في الضفة والقطاع على الكنائس المختلفة كما يأتي:

الروم الأرثوذكس: ٥١٪، اللاتين (الكاثوليك): ٣٠٪، الروم الكاثوليك: ٦٪، البروتستانت: ٥٪، السريان والأرمن الأرثوذكس: ٣٪ لكل منهما، الأقباط والأحباش والموارنة وغيرهم من المسيحيين: ٢٪. [٢]

ويصل عدد المسيحيين العرب في إسرائيل إلى مئة وسبعة عشر ألف نسمة من مجموع ٦,٨ مليون نسمة. ويكون المسيحيون ٩٪ من كل العرب في إسرائيل و ١,٧٪ من كل السكان. [٣] وحسب توزيع المسيحيين العرب في إسرائيل يتبين أن ستة وستين ألفا وسبعين منهم ينتمون لكنائس الروم الكاثوليك وللكاثوليك بشكل عام، وخمسة وأربعين ألفا وأربعمئة وأربعة وعشرين ينتمون للروم الأرثوذكس، وخمسة آلاف وخمسمئة وخمسة للبروتستانت. وإذا ما أخذنا هذه الأرقام وأرقام الأراضي الفلسطينية نصل إلى المجموع الآتي للمسيحيين:

روم كاثوليك ولاتين وكاثوليك من كنائس مختلفة	٨٤٠٠٠
روم أرثوذكس وأرثوذكس من كنائس مختلفة	٧٥٠٠٠
بروتستانت وكنائس مختلفة	٨٠٠٠

	١٦٧٠٠٠

الكنائس المختلفة

يعكس الحضور المسيحي العربي في فلسطين كنائس مختلفة لكل منها خصوصيتها. فهناك خمس عشرة كنيسة منها من يربط جذوره بالآرامية والبيزنطية منذ البدايات الأولى. وفي الواقع فإن المسيحيين الأوائل في فلسطين كانوا مزيجا من العرب والسريان الآراميين وغيرهم، بمن فيهم من يهود متنصرين، تكلموا الآرامية واليونانية. [٤] ومن منطلق تاريخي يمكننا تقسيم الكنائس في الأراضي المقدسة إلى ثلاث فئات:

1. Heads of Churches in Jerusalem, Memorandum: **"The Significance of Jerusalem for Christians,"** **The Diocesan Bulletin of the Latin Patriarchate,** Volume 1, Year 1, January-February 1995 pp. 20-25.
2. Figures as quoted in **Christians in the Holy Land**, Michael Prior and William Taylor (eds.), The World of Islam Festival Trust, London, 1994 pp. 34-35.
3. For Figures and Percentages of the Population by Religion, see **Statistical Abstract of Israel** 2003 No. 54, Central Bureau of Statistics, Jerusalem 2004.
4. Shimoni, Yaacov, **The Arabs of Palestine,** Mekorah, 'Am 'Oved, Tel Aviv 1946 p. 110. (in Hebrew).

الفئة الأولى

وهي الكنائس القديمة، مثل كنائس الروم الأرثوذكس والكنائس الأرثوذكسية الشرقية، ومنها السريان والأرمن والكنيسة المارونية.

الفئة الثانية

وهي الكنائس التي تعود نشأتها للقرون الوسطى وما بعدها، مثل الكنيسة اللاتينية وكنيسة الروم الكاثوليك.

الفئة الثالثة

الكنائس التي تعود جذورها للزمن المعاصر، وهي الكنائس البروتستانتية. (٥)

وقد توزعت الكنائس، بدءًا بالمجمع الخلقدوني الذي عقد عام أربعمئة وواحدٍ وخمسين، إلى كنائس لا تؤمن بعقيدة الإيمان كما تبناها هذا المجمع والتي تقول بالطبيعتين الإلهية والبشرية للسيد المسيح، وكنائس تؤمن بهذه العقيدة وأصبحت تعرف بالكنائس الخلقدونية، بينما عرفت الأولى بالكنائس اللاخلقدونية التي آمنت بالطبيعة الواحدة للمسيح. (٦)

الكنائس اللاخلقدونية

كنيسة السريان الأرثوذكس

هي امتداد لكنيسة أنطاكية العريقة، وهي من أقدم الكنائس في الشرق الأوسط، ومازالت تستعمل الآرامية، لغة السيد المسيح، في طقوسها المقدسة. وتقول بعض عائلات هذه الكنيسة بأن جذورها تمتد إلى الكنيسة الأم. ومن المؤكد بان الأساقفة السريان الأرثوذكس قد تواجدوا على فترات في الأراضي المقدسة، وفي القدس تحديدا منذ العام ٧٩٣م وباستمرار منذ العام ١٤٧١م. وفي الوقت الحاضر فإن سيادة المطران سويرس ملكي مراد هو أسقف هذه الكنيسة وراعيها، ويقيم في دير القديس مرقس في البلدة القديمة.

كنيسة الأرمن الأرثوذكس

لهذه الكنيسة حضور متواصل منذ القرن الخامس الميلادي. وقد تنصرت أرمينيا في القرن الرابع، وبالتحديد عام ٣٠١ ميلادية حين أنشئت الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية. وقد أقيمت أول بطريركية أرمنية في القدس عام ٦٣٨م نتيجة لوثيقة قدمها الخليفة عمر للبطريرك الأرمني أبراهم. ومن المعروف أن الحي الأرمني كان موجودا في أوائل القرن الرابع عشر. إن غبطة البطريرك توركوم مانوغيان الثاني هو راعي الكنيسة الأسقفية الأرمنية، وهو يقيم في دير الأرمن بداخل الحي الأرمني في البلدة القديمة.

كنيسة الأقباط الأرثوذكس

هي كنيسة مصر، مثلها مثل أرمينيا فقد تنصر أهل مصر في القرون الأولى للمسيحية. وفي واقع الأمر يربط الأقباط وجودهم في القدس وفي الأراضي المقدسة بمجيء القديسة هيلانة، أم الإمبراطور قسطنطين، إذ قاموا معها برحلتها الأولى إلى الأرض المقدسة في بداية القرن الرابع الميلادي. وسيادة الأنبا أبراهام هو أسقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القدس الذي خلف الأنبا باسيليوس، وهو في خط مباشر لمثلي غبطة بطريرك الإسكندرية (حاليا قداسة البابا شنودة الثالث الكلي الاحترام). وقد تواجد الأقباط في الأرض المقدسة منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

5. Shimoni, **Ibid.** p. 111.
6. See Institut Européen de Recherche sur la Coopération Méditerranéenne et Euro Arabe, Dossier Sepcial MEDEA Numéro 9, " **Chrétiens dans le Monde Arabe et Eglises Chrétiennes du Proche et du Moyen Orient,"** Décembre 2003. Also **Chrétiens (au Proche Orient)**, Septembre 2003 on http://www.medea.be/index.html?doc=38. Also see Yishai Eldar, former editor of Christian Life in Israel, "The Christian Communities of Israel," in Focus on Israel website _ Israel Ministry of Foreign Affairs, 30th March 2003.

محـــور خـــاص

كنيسة الأحباش الأرثوذكس

تعود هذه الكنيسة في القدس للقرون الوسطى. ومن المعروف أن الحجاج الأثيوبيين قد بدأوا بالوصول إلى القدس بغرض زيارة الأماكن المقدسة منذ القرن الرابع. وللكنيسة الأثيوبية اليوم عددٌ صغيرٌ من الرهبان والراهبات يضاف إليهم عدد من الحجاج والزائرين في عيد الفصح. وسيادة المطران أباكوستوس هو أسقف هذه الكنيسة في القدس. وقد كانت هذه الكنيسة قبل القرن التاسع عشر من الكنائس الغنية بممتلكاتها وحقوقها بما فيها داخل كنيسة القيامة. لكنها اليوم تكتفي بكنيسة صغيرة إلى يمين مدخل كنيسة القيامة، حيث تقود هذه الكنيسة إلى دير الأحباش على سطح كنيسة القيامة. وهنا في الليلة التي تسبق أحد الفصح يجري الأحباش تطوافا ثريا بالألوان وبالملابس المزركشة يرمز إلى التفتيش عن جسد المسيح القائم من القبر.

الكنائس الخلقدونية

الكنيسة الأرثوذكسية

لكنيسة الروم الأرثوذكس تاريخ طويل في الأرض المقدسة بدأ بالمجمع الخلقدوني، حيث أقر إنشاء البطريركية لأول مرة. وفي العام ١٠٥٤م كان هنالك الانقسام عن روما، مما أدى إلى حالة غربة بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. وكانت زيارتا البابا بولس السادس في العام ١٩٦٤ والبابا يوحنا بولس الثاني في العام ٢٠٠٠ إلى الأرض المقدسة نقطتي تحول في العلاقات، إذ اجتمع البابا بولس السادس بالبطريرك أثيناغورس في الأردن، بينما قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة لبطريركية الروم الأرثوذكس خلال حجه للأرض المقدسة في العام ٢٠٠٠.

وتقوم أخوية القبر المقدس، وهي أخوية مكونة من الأساقفة اليونان منذ العام ١٦٦٢، بالإشراف على مصالح كنيسة الروم الأرثوذكس وممتلكاتها، خاصة الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم والناصرة وغيرها من الأماكن. وتحافظ الأخوية على الطبيعة اليونانية للبطريركية. ويتكون المؤمنون في هذه الكنيسة في كل من الأردن وفلسطين، أي في الأرض المقدسة، من غالبية عربية.

ومن الأحداث التاريخية التي تربط بين كنيسة القدس والفتح الإسلامي مجيء الخليفة عمر رضي الله عنه في العام ٦٣٨م لاستلام مفاتيح المدينة بنفسه من البطريرك صفرونيوس. وقد أصبح اللقاء بينهما حدثاً تاريخيًا، خاصة قصة الخليفة عمر وهو يرفض الصلاة في كنيسة القيامة حين نودي للصلاة ظهرا. فقد خرج عمر جنوب الكنيسة على بعد أمتار وصلى حيث يوجد هناك اليوم جامع عمر تذكارا جميلا لحكمته ولتسامح الإسلام. وقد أسس كل من الخليفة عمر والبطريرك صفرونيوس، الذي توفي في العام نفسه، تقليدا للتفاهم الإسلامي المسيحي المتبادل المبني على احترام عقائد الآخر ومتطلباته الطقوسية. ونعود كثيرا إلى العهدة العمرية بصفتها أهم الوثائق التي تحث على التفاهم والاحترام المتبادلين بين المسيحيين والمسلمين. ومن المهم تذكر الروح أو الجوهر الذي على أساسه أعطيت العهدة كنموذج رائع يجدر بنا أن ندرسه ونتعلم منه دوما.

وبمجيء الصليبيين في العام ١٠٩٩م انتقلت، أو نقلت، بطريركية الروم الأرثوذكس من القدس إلى القسطنطينية. ولم تتمكن من الرجوع إلى القدس حتى العام ١٨٤٥ حين عين بطريرك جديد ومقام إقامته القدس. وغبطة البطريرك إيرنيوس هو اليوم بطريرك كنيسة الروم الأرثوذكس في الديار المقدسة.

يوجد، إضافة إلى كنيسة الروم الأرثوذكس، ممثلون للكنيسة الروسية والكنيسة الرومانية إلا أنهما ليستا كنيستين محليتين، إذ لا يوجد لديهما أتباع من العرب الفلسطينيين.

الكنيسة اللاتينية وكنيسة الروم الكاثوليك

ترتبط الكنيسة اللاتينية بروما وتعترف بالبابا رئيسا روحيا أعلى لها. وقد أنشئت البطريركية اللاتينية في زمن الصليبيين، ثم أعيد إنشاؤها في العام ١٨٤٧م. وفي العام ١٩٨٧م تم تنصيب غبطة البطريرك ميشيل صباح أول بطريرك عربي فلسطيني من مواليد الناصرة بطريركا للكنيسة اللاتينية في القدس والأراضي المقدسة. وفي المدة الطويلة لغياب البطريركية اللاتينية، وبالتحديد منذ القرن الرابع عشر، قامت الرهبنة الفرنسيسكانية بالاعتناء بالأماكن المقدسة وبالاهتمام بالناحية الروحية للمؤمنين الكاثوليك في الديار المقدسة. وقد تأسست حراسة الأراضي المقدسة الفرنسيسكانية في عام ١٢١٧م، وقدمت خدماتها للأراضي والبلدان في جنوب شرق حوض البحر الأبيض المتوسط بحيث غطت مصر واليونان بجانب الأرض المقدسة. وفي العام ١٢١٩م قام القديس فرنسيس، مؤسس الرهبنة الفرنسيسكانية، بزيارة للسلطان ملك الكامل، وحاول إقامة مشروع حوار معه، مؤمنا بأن المشاكل تحل بطريقة أفضل عن طريق التبادل والتشاور بدل المواجهة الحربية. ويتبوأ اليوم قدس الأب بيار باتيسيا بيزابلة منصب حارس الأراضي المقدسة.

كنيسة الروم الكاثوليك الملكية

يعود مصطلح الملكية إلى القرن الخامس الميلادي، وبالتحديد إلى المجمع الخلقدوني، حيث تبنى هذا المجمع فعل الإيمان المسيحي، وقد عرف من اتبع هذا الفعل بالملكيين نسبة لارتباطهم بالكرسي الإمبراطوري (الملكي) في القسطنطينية.

كانت بدايات هذه الكنيسة في العام ١٧٢٤م، حيث تم انتخاب كاهن كاثوليكي ليكون بطريرك كنيسة الروم الأرثوذكس في أنطاكية. وما أن تسلم السدة البطريركية حتى أشار على أتباعه بوجوب الاعتراف بسيادة البابا في الأمور الكنسية. وفي العام ١٧٥٢م تم تأسيس أبرشية للروم الكاثوليك الملكيين في الناصرة، وبعد عشرين عاما، أي في العام ١٧٧٢م، تم وضع الروم الكاثوليك الملكيين في القدس تحت إشراف بطريركية أنطاكية ممثلة بنائب بطريركي. ويقوم اليوم سيادة الأرشمندريت مطانيوس حداد بمهام النائب البطريركي في القدس. كما إن غبطة البطريرك غريغوريوس الثالث لحام، البطريرك الحالي لكنيسة الروم الكاثوليك الملكية، قد خدم ما يزيد على ربع قرن نائبا بطريركيا في القدس قبل أن يتم انتخابه بطريركاً للكنيسة بأجمعها. ومن الشخصيات الدينية المعروفة من أتباع هذه الكنيسة سيادة المطران كبوشي، الذي سجنته إسرائيل بتهمة مساعدة المنظمات الفلسطينية حين كان يشغل منصب النائب البطريركي في القدس في سنوات السبعينيات.

كنيسة السريان الكاثوليك

انفصلت هذه الكنيسة أصلا عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وهي في اتحاد مع روما منذ العام ١٦٦٣م. يتبوأ غبطة البطريرك بطرس عبد الأحد سدة البطريركية في بيروت بعد خدمة طويلة نائباً بطريركياً في الأرض المقدسة. يتواجد معظم السريان الكاثوليك في القدس وبيت لحم ولا يتجاوز عددهم المئتين. ويقوم سيادة الأرشمندريت بطرس ملكي بأعمال النيابة البطريركية، ويقيم في كنيسة القديس توماس على بعد مئات الأمتار من باب العامود باتجاه الشيخ جراح.

كنيسة الأرمن الكاثوليك

انفصلت عن الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في العام ١٧٤١م. وفي العام ١٨٤٢م أقيمت النيابة البطريركية في القدس. ويتبوأ سيادة رئيس الأساقفة جورج خازوميان النيابة البطريركية لكل من فلسطين والأردن، ويقيم في كنيسة الأرمن الكاثوليك في درب

الآلام من البلدة القديمة. وتتميز العلاقات بين كنيسة الأرمن الكاثوليك وكنيسة الأرمن الأرثوذكس بالاهتمام المتبادل لخير الأرمن ومنفعتهم بشكل عام.

الكنيسة المارونية

لأتباع الكنيسة المارونية كنيسة وأملاك في البلدة القديمة في منطقة باب الخليل. ويعد أتباع هذه الكنيسة في القدس ومنطقتها بالعشرات فقط. لكن النيابة البطريركية المارونية متواصلة منذ العام ١٨٩٥م، حيث أقيمت للمرة الأولى. ويقطن معظم الموارنة في الجليل، وهم على اتصال بالموارنة في كل من القدس وبيت لحم. ويتواجد جل الموارنة في لبنان، حيث تعتبر الكنيسة المارونية كنيسة وطنية، ويرأسها اليوم غبطة الكاردينال البطريرك بطرس صفير، بينما يقوم سيادة المطران بولس صياح بأعمال النيابة في كل من القدس وعمان.

الكنائس البروتستانتية

تعود هذه الكنائس في الأرض المقدسة إلى القرن التاسع عشر، حيث وصلت بعثات تبشيرية لنشر رسالة الإنجيل. وقد قامت هذه البعثات بتحويل بعض المسيحيين العرب، خاصة من كنيسة الروم الأرثوذكسية، إلى البروتستانتيّة. وفي العام ١٨٤١م كانت هناك أسقفية أنجليكانية لوثرية مشتركة في القدس حتى عام ١٨٨٦م، حيث أشرفت كنيسة إنكلترا على الشؤون الأنجليكانية منذ ذلك الوقت. وفي العام ١٩٥٧ رقي ممثل كنيسة إنكلترا في القدس إلى منصب رئيس أساقفة. وفي العام ١٩٧٦ أقيمت الكنيسة الأسقفية الأنجليكانية البروتستانتيّة في الشرق الأوسط، وعين أسقف عربي رئيسا لها. ويتبوأ سيادة المطران رياح أبو العسل رئاسة هذه الكنيسة، ويقيم في كاتدرائية القديس جورج في شارع نابلس على بعد مئات الأمتار من البلدة القديمة باتجاه الشيخ جراح. والمطران رياح عربي فلسطيني من الناصرة.

بعد العام ١٨٨٦ تابعت الكنيسة اللوثرية الألمانية اهتمامها بالجالية الألمانية اللوثرية، وكذلك بالأعداد المتزايدة للمسيحيين المحليين الذين انضموا إلى الكنيسة. وفي العام ١٩٧٩ عين أسقف عربي للكنيسة الإنجيلية اللوثرية، وهي كنيسة مؤمنوها من العرب الفلسطينيين. ويرأس هذه الكنيسة سيادة المطران منيب يونان، وهو عربي فلسطيني من القدس القديمة، كما يهتم قسيس ألماني لوثري بأمور الجالية الألمانية اللوثرية، ويشترك سوية والمطران يونان بالمكاتب نفسها في شارع المارستان القريب من كنيسة القيامة.

وهناك كنائس بروتستانتية أخرى في الأرض المقدسة، ومنها كنيسة سكوتلندا التي تدير عددا من الكنائس والمدارس وبيوت الضيافة في القدس ويافا وطبريا. كما إن للكنيسة المعمدانية عددا من الكنائس، خاصة في إسرائيل، وأغلبية مؤمنيها من العرب الفلسطينيين.

المسيحيون العرب في الأردن والعالم العربي

الأرض المقدسة هي أرض فلسطين والأردن، وهي «الكنيسة الأم» للمسيحية قاطبة. وفي كتاب «مرشد الطلاب في جغرافية الكتاب» للقس أسعد منصور الذي طبع في عام ١٩٠٥، يذكر منصور أن «ربة» هي الآن عمان... وكانت في القرون المسيحية الأولى كرسي أسقفية، وآثار عمان الآن من أعظم آثار شرقي الأردن. [٧] كما كانت حسبان على بعد ١٥ ميلا شرقي البحر الميت الشمالي كرسي أسقفية. [٨] أما عن مأدبا فيقول منصور إنها كانت في الأجيال الأولى مركزا مهما للدين

7. القس أسعد منصور «**مرشد الطلاب في جغرافية الكتاب**» Reverend Asad Mansour, ***Guide of the Students to the Geography of the Book***, 1905 p.242. (in Arabic).
8. Mansour, ***Ibid***, p. 242.

المسيحي. وذكر أنها كانت كرسي أسقفية في القرن الخامس... ووجد فيها مؤخرا خريطة الأرض المقدسة مرسومة بالفسيفساء رسما متقنا يظهر فيه نهر الأردن وكثير من المدن الرئيسية.[9] وقد علّم السيد المسيح في مدن الأردن، مبشرا في عمان القديمة (فيلادلفيا) وجرش وجدارة من المدن العشر الديكابوليس (Decapolis). وقد وجدت الجماعة المسيحية الأولى ملجأ لها في طبقة فحل (Pella) إلى الشرق من بيسان شمالي وادي الأردن. وشارك الكثير من الأساقفة من الأردن في مجالس الكنيسة بين القرنين الرابع والسادس الميلادي.[10] وبالتالي فإن الأرض المقدسة بحسب النظرة الكنسية تشمل الأردن كما تشمل فلسطين. ويقوم كل من سيادة المطران فندكتوس، مطران كنيسة الروم الأرثوذكس، وسيادة المطران سليم الصايغ، مطران كنيسة اللاتين، بمهام الرئاسة الروحية لكنيستيهما في الأردن. كما يقوم بهذه المهمة لكنيسة الروم الكاثوليك سيادة المطران جورج المر، ولكنيسة الأرمن الأرثوذكس سيادة المطران فاهان سلوبليان، وللكنيسة الأسقفية الأنجليكانية سيادة المطران رياح أبو العسل، وللكنيسة الإنجيلية اللوثرية سيادة المطران منيب يونان، وللكنيسة المارونية سيادة المطران بولس صياح، وللكنيسة السريانية الأرثوذكسية سيادة المطران سويرس ملكي مراد. وكذلك يقوم قدس الأب حنا جلون من الرهبانية الفرنسيسكانية بالاهتمام بشؤون حراسة الأراضي المقدسة في الأردن. ويمثل رؤساء الكنائس في مهماتهم وحدة الكنيسة في الأرض المقدسة في كل من فلسطين والأردن. وبينما يوجد في الأردن أكثر من ١٥ كنيسة، فإن مجلس الكنائس المسيحية المعترف به رسميا من الحكومة الأردنية يضم السادة الأساقفة الذين وردت أسماؤهم أعلاه أو ممثليهم. ويلتئم المجلس باستمرار وله مطلق الحرية في نقاش الأمور والقضايا التي تهم الكنيسة.

ومن المزايا الخاصة للمسيحية في الأردن وجود العامل القبلي، بما فيه التحالفات المسيحية الإسلامية وشبكة العلاقات القبلية. ويحافظ المسيحيون في الأردن على تقاليد أجدادهم الشعبية، كما يحافظون على تقاليدهم الكنسية.[11] ومن الجائز أن هذا العامل القبلي والريفي هو الذي دفع بالكثير من أبناء الأردن وبناته للالتحاق بالكنائس كهنة وراهبات بشكل يفوق ما نجده عند المسيحيين العرب في فلسطين. ويوجد عدد كبير من الطلبة من الأردن في اكليريكية اللاتين في بيت جالا، كما يقوم الكهنة والراهبات من الأردن بالكثير من المهام الكنسية والمدرسية والخدماتية في كل من الأردن وفلسطين.

إن خاصية المسيحية في الأردن وانتماء المسيحيين لبلدهم ولكنيستهم هي ما علق في ذهن قداسة البابا يوحنا بولس الثاني. في أثناء انعقاد مجمع الأساقفة لآسيا في الفاتيكان في شهر نيسان/إبريل من العام ١٩٩٨، جرت العادة أن يدعو قداسته الحضور لتناول الغداء أو العشاء في مجموعات من اثني عشر شخصا لكل مرة. وقد دعيت مع قدس الأب مارون لحام، مدير الاكليريكية اللاتينية في بيت جالا، للعشاء مع قداسة البابا مع عشرة ضيوف آخرين من بلدان مختلفة. وخلال العشاء تمحورت المحادثة حول الأرض المقدسة والمسيحيين فيها. وأذكر جيدا أن قداسته قد سأل خصيصا عن المسيحيين في الأردن وعن الدعوات للكهنوت والرهبنة بينهم، وأراد أن يعرف عن الأوضاع في كل من الأردن وفلسطين بشكل عام. كما سأل قداسته عن جامعة بيت لحم وعن العلاقات بين الديانات بشكل عام. ويذكر الجميع، كما أذكر وكنت طالبا في الثانوية، مدى احتفاء الأردن بقيادة جلالة الملك المغفور له الحسين بن طلال

9. Mansour, ***Ibid,*** p. 238.
10. Father Rif'at Badr, Jordan Tourism Board, North America, ***Religious Press Familiarization Trip of Biblical Jordan***, May 20-27, 2001 who quotes also HG Bishop Selim Sayegh on biblical Jordan, p. 1.
11. Badr, ***Ibid,*** p.2.

بقداسة البابا بولس السادس في العام ١٩٦٤. وقد قاد جلالته بنفسه المروحية التي لازمت قداسته في حله وترحاله، مما أثار إعجاب وسائل الإعلام العالمية وتقديرها. وأعاد الأردن، ملكاً وحكومة وشعباً، مثل هذا الاحتفاء والمشاركة بمناسبة زيارة قداسة البابا يوحنا بولس الثاني لهذه الأرض المقدسة في العام ٢٠٠٠.

المسيحيون العرب: أرقام ونسب

يقدر عدد المسيحيين في الأردن بمئة وثمانية آلاف نسمة، أي ٣,٢٪ من مجموع السكان في المملكة.[١٢] ومثلهم مثل المسيحيين في فلسطين والأردن، فإن العرب المسيحيين هم جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الثقافي والعرقي والسياسي لوطنهم العربي. وتضع التقديرات أعداد المسيحيين العرب ما بين ٩,٧ – ١٣,٢ مليون نسمة، أي ما بين ٥,٤٪ – ٧,٤٪ من مجموع السكان في الدول العربية التي ينتمون إليها كما يبين الجدول الآتي:

الجدول ١: عدد السكان الكلي والنسب التقديرية للمسيحيين والسكان المسيحيين في بعض الدول العربية ٢٠٠٤.[١٣]

الدولة	عدد السكان الكلي	النسب التقديريّة للمسيحيين	السكان المسيحيون
مصر	٧٦ ١١٧ ٠٠٠	٦٪ – ١٠٪	٦و٤ – ٦و٧ مليون
العراق	٢٥ ٣٧٥ ٠٠٠	٣٪ – ٥٪	٧٦١ ٢٥٠ – ١ ٢٦٨ ٧٥٠
الأردن	٥ ٦١١ ٠٠٠	٣,٢٪	١٨٠ ٠٠٠
لبنان	٣ ٧٧٧ ٠٠٠	٣٠٪	١ ١٣٣ ١٠٠
فلسطين	٣ ٦٣٦ ٠٠٠	١,٤٪	٥٠ ٠٠٠
السودان	٣٩ ١٤٨ ٠٠٠	٥٪	١ ٩٥٧ ٤٠٠
سوريا	١٨ ٠١٧ ٠٠٠	٥٪	٩٠٠ ٨٥٠
إسرائيل	٦ ٨٠٠ ٠٠٠	١,٧٪	١١٧ ٠٠٠
المجموع	١٧٨ ٤٨١ ٠٠٠	٥,٤٪-٧,٤٪	٩ ٦٩٩ ٦٠٠-١٣ ٢٠٧ ١٠٠

طبعا، إن التقديرات لأعداد المسيحيين تبقى تقديرات، والغرض من عرضها بهذه الطريقة هو فقط لإعطاء فكرة عن حجم المسيحيين ونسبتهم، وليس لإثبات دقة المعطيات. لكن النسب والأعداد لا يمكن أن تكون هي العوامل الملزمة لتقييم العلاقات، أو لفهم التاريخ أو واقع العلاقات المجتمعية أو الدينية. وسأعود لهذا الموضوع لاحقا، إلا أنه من المهم التشديد على أن كنائس الشرق العربي ترى نفسها دوما جزءاً لا يتجزأ من محيطها العربي. ومن المهم أيضا التذكير بأن مساهمة الكنائس بمدارسها وبمستشفياتها وبمؤسساتها الخدماتية الأخرى قد أثرت في حياة الملايين من مواطني عالمنا العربي دون التمييز في الدين أو في أية خاصية أخرى. وقد كانت هذه هي التجربة دوما في الأردن وفلسطين والدول العربية الأخرى. وفي الأردن وفلسطين أقيمت المدارس التابعة

12. According to Father Rif'at Badr, "before WWII, the estimated number of Christians in Jordan was 25,000 out of a total population of 455,000 or 5.5%. In the 1960s, the number was 160,000 out of a total population of 1.7 million or 9.4%, but today, due to influx of large numbers of refugees, the number is less than 3% and is not more than 180,000 persons." Jordan Tourism Board, **Ibid**.
13. For population figures of various countries, see U.S. Census Bureau, **International Data Bank Summary Demographic Data**, Updated on 30/04/2004. The percentages of Christians are estimates from different sources. With the exception of Israel, the other states have populations with Moslem majority.
أما نسب المسيحيين فهي تقديرات من مصادر مختلفة، وباستثناء إسرائيل فإن الدول المذكورة هي دول ذات أغلبية سكانية مسلمة.

للكنيسة في منتصف القرن التاسع عشر. ويذكر سيادة المطران سليم الصايغ أن أول مدرسة لاتينية أقيمت في الأردن عام ١٨٧٦.[١٤] وقد ساهم العرب المسيحيون في الحركة القومية العربية. وربما تكون أهمية هذه المساهمة في التذكير بأن العرب مسيحيين ومسلمين لهم تاريخ طويل من العمل المشترك من أجل المثل العليا ذاتها، ومن أجل رؤية مشتركة تجمعهم في اليسر والعسر.

الخصائص الاجتماعية للمسيحيين العرب

يعيش معظم المسيحيين في فلسطين في مدن بيت لحم والقدس ورام الله، حيث تتواجد الغالبية العظمى منهم، لكنهم يتواجدون أيضاً في بيرزيت والطيبة وعدد من القرى والبلدات الأخرى، مثل الزبابدة في منطقة جنين، وعابود وعين عريك وجفنا في منطقة رام الله، ورفيديا في نابلس. ويتواجد المسيحيون في الأردن في العاصمة عمان، وكذلك في السلط وعجلون وإربد والزرقاء ومأدبا والكرك. وفي بعض المناطق الريفية، كما في فلسطين، توجد قرى وبلدات غالبيتها من المسيحيين، مثل السّماكية والفحيص وشطنة. أما في الجليل، فيجتمع المسيحيون في الناصرة وحيفا وعدد من القرى والبلدات، حيث يتعايشون مع غيرهم من المسلمين والدروز. وما زالت هناك كنائس مسيحية في كل من يافا والرملة. وقد تأثر المسيحيون في كل من فلسطين والأردن، خاصة أولئك الذين يسكنون في المدن، بأسلوب الحياة الحضري بتوجهاته وخياراته.

يتواجد الكثير من المسيحيين في المهن الحرة وفي الصناعة وفي المصالح الخاصة. ويمكن أن تكون الخلفية المهنية للمسيحيين ذات ارتباط بخلفيتهم التعليمية. وقد اختفت الهوة التي كانت تفصل من ناحية التحصيل العلمي بين المسيحيين وغيرهم من السكان بسبب الانتساب المبكر للمدارس الكنسية عند المسيحيين. لكن هنالك دلائل، على الأقل في فلسطين، بأن المسيحيين ينتسبون لمؤسسات التعليم العالي بنسبة أعلى من غيرهم من السكان. وينعكس هذا في تعريف طبقي يضع المسيحيون أنفسهم فيه في الطبقات الوسطى والعليا.

وبالتالي يمكننا بشكل عام وصف المسيحيين العرب في فلسطين والأردن بأنهم أصحاب تحصيل علمي مرتفع نسبيا، وأصحاب توجهات طبقية تضعهم في الطبقة الوسطى من المجتمع أو أعلى، وبأنهم يسعون للحصول على فرص وإمكانات اقتصادية، خاصة لأبنائهم وبناتهم. إذاً فإن التوجهات والفرص ذات الأمد الطويل هي التي توجههم بشكل عام، وليس الإشباع أو الاكتفاء الفوري. ولا يقتصر هذا الأمر على المسيحيين، إذ إن السكان الآخرين ممن يتميزون بالخصائص الاجتماعية والطبقية نفسها يعكسون نفس التوجهات والاختيارات.

الالتزام بالخدمة

في بحث [١٥] أجري على عينة عشوائية من الفلسطينيين في أواسط التسعينيات طلب منهم أن يحددوا موافقتهم أو عدمها مع العبارة التالية: «الدين لله والوطن للجميع». وقد عبر ٧٨٪ من الفلسطينيين المسلمين عن موافقتهم على هذه العبارة، بينما عبر ٩٤٪ من المسيحيين عن موافقتهم. ودلالة هذه النسب هي أن الغالبية العظمى من الفلسطينيين تؤكد على أن الدين لا يقف عثرة أمام شمولية الوطن وكليته. ولا شك أن هذه الحقيقة تنسحب أيضا على الواقع الديني في الأردن. فقد أشارت دراسة أجريت على عينة

14. Bishop Selim Sayegh, Auxiliary Bishop and General Patriarchal Vicar for the Latins in Amman, Jordan, **"Introduction to the Christian Presence in Jordan,"** Presented at the Catholic Bishops Conference in Jerusalem on 22/01/2002. See http://www.lpj.org/Nonviolence/Conf/Jordan.htm

15. The responses quoted here are from a 1995 survey on a representative sample of Palestinians in the West Bank and Gaza Strip that was conducted in cooperation with Professor Theodor Hanf, Director of the Arnold Bergstraesser Institute in Freiburg, Germany. Quotations of responses which refer to Palestinian Christians in the Palestinian Territories and in Israel come from the results of a March 2000 survey of a random sample of Palestinian Christians in both countries which was also conducted in cooperation with Professor Hanf and Professor Schulz of London School of Economics.

أجري البحث الذي نعتمد على نتائجه في العام ١٩٩٥ على عينة كاملة شملت كل منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد أجري البحث بالتعاون مع البروفسور ثيودور هانف من مؤسسة أرنولد برغستراسر في ألمانيا. كما نعتمد أيضاً نتائج بحث ثان أجري في آذار من العام ٢٠٠٠ على عينة عشوائية من السكان المسيحيين في كل من فلسطين وإسرائيل بالتعاون أيضاً مع البروفسور هانف والدكتورة شولز من جامعة لندن للاقتصاد.

عشوائية من المسيحيين في كل من الأردن وفلسطين وإسرائيل في العام ١٩٩٩، بمناسبة انعقاد المجمع (السينودس) الكاثوليكي في الأرض المقدسة، إلى هوية الانتماء للوطن. وعبر المسيحيون في الدراسة عن قناعتهم بأن الكنيسة تتفاعل واحتياجات المجتمع بانفتاح ومحبة واحترام للحياة الإنسانية دون اعتبار للخلفية الدينية أولأية خاصية أخرى. ويود المسيحيون أن ينخرطوا أكثر في الخدمة العامة لأن مثل هذا الانخراط في القطاع العام يؤدي إلى تقوية العلاقات ما بين الجماعات المختلفة، وينمي الجهود للوقوف سوية أمام التحديات الملحة التي تواجه المجتمع. والجدير بالتنويه هنا أن في الأردن، كما في فلسطين وفي غيرها من الدول العربية، يوجد مسيحيون عرب في المجالس التشريعية والوزارات والقوات المسلحة وغيرها من مؤسسات القطاع العام، وأحيانا يكون الوجود المسيحي في هذه المؤسسات أكثر نسبة مما توحيه أعدادهم الكلية من مجموع السكان.

التحديات: الهجرة والأعداد المتناقصة للمسيحيين الفلسطينيين والعرب

يواجه المسيحيون العرب عدة تحديات هي في المحصلة النهائية تحديات تواجه المجتمع العربي ككل. ومع هذا، فهنالك تحديات تتخذ أهمية خاصة، وبالتحديد تلك التي تتعلق بالهجرة وبالأعداد المتناقصة للمسيحيين الفلسطينيين والعرب في الأرض المقدسة.

تؤدي الهجرة من البلد إلى تناقص الأعداد، وإلى تغيير في ديناميكية العلاقات داخل الكنيسة الواحدة وفي علاقاتها مع الكنائس الأخرى ومع المجتمع الأكبر ككل. ولكن تناقص أعداد المسيحيين لا يعود فقط للهجرة، وإنما أيضا لعملية التحول الديمغرافي التي تتميز بنسب ولادة متدنية عند المسيحيين العرب بشكل عام مقارنة ببقية السكان. وتصل تقديرات المسيحيين العرب المتواجدين في الخارج إلى ٣ ملايين، أي ما بين ٣١٪ - ٢٢,٦٪ من تقديرات أعداد المسيحيين العرب في العالم العربي اليوم.[16] ويرى بعضهم أن أعداد المهاجرين المسيحيين خارج الوطن هي على الأقل ضعفا رقم الثلاثة ملايين المذكور أعلاه أو ثلاثة أضعافه.[17] ولعدم توفر إحصاءات دقيقة لأعداد المهاجرين اخترت أن التزم بالتقديرات الأكثر محافظة، أي الأقل. ومع هذا فإن هذه الأرقام والمعطيات تشير إلى وجود تيار هجرة قوي عند المسيحيين العرب في الشرق العربي. إن الكنائس التي تتضرر أكثر من غيرها بفعل عامل الهجرة هي الكنائس الآشورية والأرمنية والسريانية والمارونية والروم الكاثوليكية، حيث يوجد ما يتجاوز ٥٠٪ من أعضائها العرب خارج أرض الوطن الأم. أما الكلدانيون فلديهم جماعة مهاجرة تقدر بـ ٢٠٪، بينما يصل عدد الأقباط المهاجرين إلى ٨٪.[18]

وقد أشار مكتب الإحصاء الأمريكي في العام ٢٠٠٠ إلى أن ثلاثة أرباع العرب البالغ عددهم مليوناً ومئتي ألف في الولايات المتحدة، بحسب سجلات المكتب، هم من المسيحيين العرب. وينظر الكثير من النشطاء العرب في الولايات المتحدة إلى رقم مكتب الإحصاء للعرب الأمريكيين بعدم الرضى، إذ يقدرون بأن العدد الحقيقي هو ضعفا هذا الرقم أو ثلاثة أضعافه. هناك ما يقرب من نصف مليون أمريكي من أصل لبناني و ١٥٠ ٠٠٠ أمريكي من أصل سوري ومصري بالتساوي. أما الأردنيون والفلسطينيون فتصل أعدادهم إلى ٤٠ ٠٠٠ و ٧٢ ٠٠٠ على التوالي.[19]

إن هجرة العرب، مسلمين ومسيحيين، ليس بالأمر

16. Valognes, Jean Pierre, Vie et Mort des Chretiens d'Orient: Des Origines a nos Jours, Fayard, 1994 p. 106.

17. حسب تقديرات الهيئة العامة لمجلس كنائس الشرق الأوسط المنعقدة في كانون الثاني من العام ١٩٩٠، فإن أعداد المسيحيين في الشرق هو ١٥ مليون بينما أعداد المسيحيين الذين هاجروا إلى الخارج تصل إلى عشرة ملايين.
According to the estimates of the General Assembly of the Middle East Council of Churches held on January 1990 which put the numbers of Christians in the Middle East at 15 million and those who have migrated abroad at 10 million.

18. Valognes, **Op. Cit.** p. 151.

19. Joyce Howard Price, "**1.2 million Arabs in U.S., Census States,**" ***The Washington Times,*** 03/12/2003 http://www.washtimes.com/national/20031203-113839-9531r.htm

الجديد. فإن موجة الهجرة الأولى قد حدثت عند نهاية الإمبراطورية العثمانية. وبحلول عام ١٩١٤ كان هناك ثلاثمئة وخمسون ألف سوري «تركي» ممن هاجروا من الأراضي العثمانية، ثلثاهم إلى الولايات المتحدة والثلث المتبقي إلى أمريكا الجنوبية[٢٠]. وكانت الأسباب الاقتصادية، مثل فشل صناعة الحرير اللبنانية في منافسة الحرير الياباني، والأسباب السياسية، خاصة انعدام الاستقرار السياسي، والقلق من سياسة التجنيد العسكري العثمانية، وكذلك أحداث لبنان في العام ١٨٦٠ من الأسباب التي أدت إلى موجة الهجرة الأولى. وقد كان لتطوير ميناء بيروت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واشتراك بعض التجار «السوريين» في معرض فيلادلفيا المئوي في العام ١٨٧٦ احتفالا بالذكرى المئة لتأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، دور في تشجيع الهجرة. فقد كان لمشاركة عدد من التجار من منطقتنا في المعرض، الذين عرضوا قطعهم الفنية والأثرية وتعرفوا بذلك على الفرص والامكانات في العالم الجديد، دور في تشجيعهم وعائلاتهم على بداية مشوار الهجرة.[٢١]

وكان للخصائص الاجتماعية والاقتصادية والخلفية التعليمية للمسيحيين العرب دور مساهم في الهجرة المسيحية. فقد اتصل المسيحيون العرب قبل مئة عام ونيف بالمؤسسات التعليمية الغربية. ومع امتلاكهم للغات الأجنبية، خاصة اللغة الإنكليزية، فقد أتيحت لهم فرصة الانفتاح على ما يجري خارج الإمبراطورية العثمانية، خاصة في أوروبا وأمريكا. وبالتالي فقد تمت المقارنة بين الأوضاع في هاتين القارتين والأوضاع في الإمبراطورية العثمانية، مما جعل البعض يفكر في الهجرة كمغامرة مجدية، وليس بالضرورة عزوفا عن الوطن الأم ومحبته.

شهدت فترة ما بين الحربين العالميتين ظهور حركة القومية العربية ومشاركة العرب المسيحيين في انعكاساتها الوطنية ومظاهرها الثقافية. وتكاتف المسيحيون والمسلمون في فلسطين للدفاع عن هويتها العربية. وتذكر السيدة ماتيل مغنم في كتابها «المرأة العربية» "The Arab Woman" وقوف المرأة المسيحية جنبا إلى جنب مع المرأة المسلمة في الدفاع عن حقوق العرب في فلسطين، وتوثق كذلك للحركة الوطنية الفلسطينية ومشاركة المسيحيين جنبا إلى جنب مع المسلمين، تأكيدا للهوية العربية الفلسطينية. وفي سوريا والأردن ولبنان ومصر والعراق قام المسيحيون العرب بدور مهم في عملية الاستقلال وفي تثبيت الدول الجديدة ومؤسساتها. وبسبب تحصيلهم العلمي كان حضورهم في المؤسسات الحكومية والجيش وغيرها من مجالات الخدمة العامة أكثر مما توحي به أعدادهم من مجموع السكان.[٢٢] وبالتالي شهدت فترة ما بين الحربين العالميتين انخفاضًا في وتيرة الهجرة بحيث أن توقعات حركات الاستقلال والقومية ووعودها أصبحت الأولوية بلا منازع.

وبعد إقامة جامعة الدول العربية في العام ١٩٤٥ واستقلال عدد من الدول العربية، شهدت الهجرة توجها عمليا مرتبطا بالفرص الاقتصادية والاستقرار السياسي وإمكانات التقدم والنمو الشخصي. وللمسيحيين في فلسطين، كما لباقي الفلسطينيين، فإن قيام إسرائيل غصبا قد ترك آثاره على الهجرة وعلى اللجوء لدى غالبية الفلسطينيين.

حرب عام ١٩٤٨ وشتات الفلسطينيين بمن فيهم المسيحيين الفلسطينيين:

منذ العشر الأخير للقرن التاسع عشر شهدت ديمغرافية المسيحيين في فلسطين هبوطا مستمرا في نسبتهم من

20. Issawi, Charles, **"The Historical Background of Lebanese Emigration,"** in ***The Lebanese in the World: A Century of Emigration***, Albert Hourani and Nadim Shehadi, eds., The Center for Lebanese Studies in Association with I. B. Tauris and Co. Ltd. Publishers, London, 1992 p. 31.
21. Naff, Alixa, "Lebanese Immigration into the United States: 1880 to the Present," in The Lebanese in the World, **Ibid**., p. 144.
22. Haddad, Mohanna, "'Detribalizing and 'Retribalizing': The Double Role of Churches Among Christian Arabs in Jordan: A Study in the Anthropology of Religion," in ***The Muslim World***, Vol. LXXXII, Nos. 1-2, January _ April 1992 p. 86.

السكان عامة. وفي العام ١٨٩٤ كان هناك ٤٢ ٨٧١ مسيحيا، أو ١٣،٣٪ من مجموع سكان فلسطين الذين وصل عددهم وقتها إلى ٣٢٢ ٣٣٨ نسمة. ولم يكن يوجد وقتئذ أكثر من ٤٠ ٠٠٠ يهودي، أو ٩،٣٪، بينما شكل المسلمون الغالبية العظمى من السكان بنسبة ٧٧،٤٪. وقد أجرت الإدارة البريطانية إحصاءين عامين لفلسطين، أولهما في العام ١٩٢٢ وثانيهما في العام ١٩٣١. ويبين الجدول الآتي أعداد السكان في الإحصاءين حسب الدين:

جدول ٢: التوزيع السكاني في فلسطين والنسب المئوية لكل دين وفق الإحصاء السكاني للعام ١٩٢٢ وللعام ١٩٣١.[٢٣]

الإحصاء	المجموع	المسلمون	٪	اليهود	٪	المسيحيون	٪	آخرون	٪
١٩٢٢	٧٥٢ ٠٤٨	٥٨٩ ١٧٧	٧٨،٣٪	٨٣ ٧٩٠	١١،١٪	٧١ ٤٦٤	٩،٥٪	٧ ٦١٧	١،٠٪
١٩٣١	١ ٠٣٥ ٨٢١	٧٥٩ ٧١٢	٧٣،٣٪	١٧٤ ٦١٠	١٦،٩٪	٩١ ٣٩٨	٨،٨٪	١٠ ١٠١	١،٠٪

(المصدر: حكومة فلسطين، دائرة الإحصاء، **جداول الإحصاءات الحيوية ١٩٢٢ - ١٩٤٥**، القدس ١٩٤٧ بالإنكليزية).

وفي العام ١٩٤٨ قبل الحرب العربية الإسرائيلية الأولى وإقامة دولة إسرائيل على الأرض العربية، كان هناك مئة وخمسة وأربعون ألف مسيحي، أو ٧،٦٪ من مجموع السكان الذين وصل عددهم آنذاك إلى ١ ٩٠٨ ٧٢٤ نسمة. وبقي ٣٤ ٠٠٠ مسيحي في ما أصبح إسرائيل، بينما أضحى ٦٠٠٠٠، أي ٤١،٣٪ من المسيحيين الفلسطينيين، لاجئين أسوة بتجربة اللجوء المرير عند شعبنا. وبالتالي فإن عدد المسيحيين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في ١٩٤٨ وصل إلى ٥١ ٠٦٣ نسمة، أي أن عددهم وقتئذ كان أكثر بقليل من عدد المسيحيين في الضفة والقطاع اليوم. وكانت حرب ١٩٤٨ وإقامة الدولة العبرية سببا رئيسياً لشتات ما يزيد على الثلثين من المسيحيين الفلسطينيين خارج وطنهم الأم. وإن ٣٠٪ من المسيحيين في الأراضي الفلسطينية اليوم هم من اللاجئين. وقد تغيب هذه الحقيقة عن الأذهان لأن المسيحيين الفلسطينيين يسكنون في المدن وينصهرون في نسيجها. ويقدر المؤرخ الفلسطيني سامي هداوي أن أكثر من ٥٠٪ من مسيحيي القدس قد هجروا بيوتهم في القدس الغربية. ويستنتج هداوي أن ما نسبته ٣٧٪ من المسيحيين في القدس، مقارنة بـ ١٧٪ من المسلمين، قد أصبحوا لاجئين. وتعزى هذه النسبة المرتفعة بين المسيحيين إلى حقيقة أن الأحياء الغربية التي كان يسكنها غالبية من المسيحيين قد احتلتها إسرائيل في الحرب بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩. وبالإضافة، فإن ٣٤٪ من الأراضي التي احتلتها إسرائيل في القدس الغربية كانت تمتلكها الكنائس المسيحية التي لم تتلق أي تعويض عليها.[٢٤]

نتج عن التشرد الفلسطيني أن الكثير ممن لجأوا إلى الأردن، وإلى عمان خصيصا، تحولوا إلى طبقة مهنية من رجال أعمال وصناعيين. وقد كان من بينهم الكثير من

23. Palestine Government, Departmen. of Statistics, ***Vital Statistics Tables, 1922-1945***, Jerusalem, 1947.

24. Wagner, Don, "***Palestinian Christians:* An Historic Community at Risk**," *http://www.palestinecenter.org/cpap/pubs/20020312ib.htm* and http://jerusalemites.org/jerusalem/christianity/35.htm For a comprehensive assessment of the property losses see Sami Hadawi, ***Palestinian Rights and Losses in 1948: A Comprehensive Study. Part V. An Economic Assessment of Total Palestinian Losses*** Written by Dr. Atef Kubrusi, Saqi Books, London, 1988. The book is dedicated to HRH Prince Hassan bin Talal "without whose interest, guidance, and support, this Study would not have been possible."

المسيحيين الفلسطينيين الذين نجحوا في إقامة المؤسسات والأندية وغيرها من الهيئات الاجتماعية والاقتصادية التي تعرف اليوم بمؤسسات المجتمع المدني، جنبا إلى جنب مع غيرهم من المواطنين الأردنيين. لكن الخمسينيات والستينيات لم تكن سنوات هينة على الأردن اقتصاديا مع الضغوطات الناتجة عن تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين. وبالتالي فإن انفتاح سوق العمل في الخليج والمملكة العربية السعودية قد وفر لأعداد متزايدة من الأردنيين والفلسطينيين فرص عمل في التعليم والصحة والدوائر الحكومية وغيرها من الوظائف. وقد ضمنت هجرة العمالة هذه أن يعود العاملون وعائلاتهم إلى الأردن بضفتيه. أما الهجرة التي انجذبت لأماكن أبعد، مثل أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا، فإن المهاجرين قلما عادوا إلى وطنهم إلا لزيارة عاطفية للتذكر والتبرك.

القدس: النزيف المستمر للمسيحيين الفلسطينيين

بينما يتواجد ثلثا المسيحيين الفلسطينيين في الشتات، فإن المثل الأكثر إيلاما للهجرة الفلسطينية يكمن في مدينة القدس. وفي الوقت الحالي، فإن هناك أحد عشر ألف مسيحي وفق تقدير سخي جداً، أي ٤,٤٪ من مجمل السكان الفلسطينيين الذين يقدرون بـ ٢٥٠٠٠٠ نسمة في القدس العربية. وينتسب المسيحيون في المدينة المقدسة إلى أكثر من ١٠ كنائس، كما يبين الجدول الآتي:

جدول ٣: الكنائس في القدس وأعداد سكانها ونسبهم المئوية من مجموع المسيحيين الفلسطينيين: [٢٥]

الكنيسة	عدد السكان	النسب المئوية من مجموع المسيحيين في القدس
اللاتين	٣٩٠٠	٣٥,٧٪
الروم الأرثوذكس	٣٥٠٠	٣٢,١٪
الروم الكاثوليك	٥٠٠	٤,٦٪
اللوثريين	٤١٠	٣,٨٪
الأنجليكانيين	٤٤٠	٤,٠٪
السريان	٧٥٠	٦,٩٪
الأرمن	٧٥٠	٦,٩٪
الأقباط	١٠٠	٢,٣٪
الأحباش	٦٠	٠,٦٪
الموارنة	١٠٠	٠,٩٪
غيرهم	٤٠٠	٣,٦٪
المجموع	١٠٩١٠	١٠٠,٠٪

وبحسب مصادر أكاديمية إسرائيلية، كان هناك في القدس ٢٩٣٥٠ مسيحيا في العام ١٩٤٤. وإذا ما اعتبرنا هذه المصادر ثقة، فإن عدد المسيحيين اليوم في القدس هو ٣٧,٥٪ مما كان عليه في العام ١٩٤٤، أي قبل ٦٠ عاما. [٢٦] وبمعادلة إحصائية بسيطة مستندة إلى نمو سكاني مسيحي بنسبة ٢٪، فإن أعداد مسيحيي القدس

25. Prior and Taylor, ***Christians in the Holy Land, op. cit.***, These figures on Jerusalem Christians are based on population estimates of Church and other sources.
26. Tsimhoni, Daphne, Christian Communities in Jerusalem and the West Bank since 1948: A Historical, Social and Political Study, Praeger, Westport, Conn. 1993 p. 19.

كانت يجب أن تصل إلى ٦٠ ٠٠٠ في العام ١٩٧٩. وباستعمال المعادلة نفسها، يتوجب على أعداد المسيحيين الفلسطينيين في القدس أن تكون ١٢٠ ٠٠٠ في العام ٢٠١٤، أي بعد عشر سنوات من اليوم. لكن الواقع الديمغرافي للمسيحيين في القدس يقول إنهم يختفون تدريجيا بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي، والسياسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتخذها الحكومة الإسرائيلية ووزاراتها المختلفة وبلدية القدس العبرية بحق السكان العرب في القدس.

وتتبين آثار اختفاء المسيحيين من القدس، مدينة الجذور، في ما ذكره سمو الأمير الحسن في مقابلة أجراها مع «ميدل ايست كورترلي» MEQ في العام ٢٠٠١ بأنه يوجد عدد أكبر من المسيحيين المقدسيين في سيدني أستراليا مما يوجد في القدس نفسها.[٢٧] ويمكننا القول نفسه عن بيت جالا وبيت لحم ورام الله، حيث توجد أعداد أكبر من مواطنيها في مجتمعات الشتات، سواء في سان بادرو سولا في هندورس أو في تشيلي أو سان فرنسيسكو أو ديترويت أو شيكاغو. وتشير إحصاءات الهجرة من مسوحات مختلفة منذ العام ١٩٩٠ إلى أن المسيحيين يتركون البلد بنسبة الضعفين مقارنة ببقية السكان. أما أسباب الهجرة فهي ترتبط بعوامل الحرب والسلام، وعدم الاستقرار الناتج عن استمرار الاحتلال الإسرائيلي وآثاره الاقتصادية المدمرة، والتساؤل عما سيؤول إليه مجتمعنا الفلسطيني ومؤسساته الاجتماعية والسياسية. وبالإضافة، فإن وجود غالبية من المسيحيين الفلسطينيين في الخارج قد أضعف الجماعات المتبقية وأصبح هو بذاته عاملا مساعدا أو محفزا للهجرة والنزوح. لكن وبالإضافة إلى العامل السياسي في فلسطين المتمثل باستمرار الاحتلال الإسرائيلي وأثره على هجرة أو تهجير الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين، فإن المسيحيين العرب في دول عربية أخرى يواصلون الهجرة بنسبة تفوق هجرة مواطنيهم الآخرين بشكل عام. ويقول فيلب فارغ Philippe Fargues ، وهو عالم سكان فرنسي معروف، إن النقص في نسبة غير المسلمين للمسلمين لا يعود للإكراه أو انعدام التسامح، وإنما للتزاوج كعلامة انفتاح غير المسلمين على بيئتهم الإسلامية، وللهجرة كعلامة انفتاح غير المسلمين على العالم الخارجي. وتلعب الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية حتماً دورها في قرار الهجرة عند المسيحيين وغيرهم. فالمسيحيون، مثلهم مثل المسلمين، يغادرون لعوامل طرد وجذب، وليس بسبب خلفيتهم الدينية.[٢٨] وفي المسوح والبحوث المختلفة التي جرت في الأراضي الفلسطينية عن الهجرة المسيحية، فإن الأسباب التي تدعو للهجرة كانت دوما اقتصادية وسياسية. ويتفق هذا مع ما يقوله فارغ (Fargues) من أن خيار الهجرة هو اقتصادي، وأن المهاجرين المسيحيين، مثلهم مثل غيرهم من المهاجرين في الزمن المعاصر، يتخذون هذا القرار على أساس فردي بغرض إيجاد العمل أو الثروة.[٢٩] لكن بعض الغربيين من الذين يتعاطفون مع إسرائيل ومن الدعائيين الإسرائيليين يطرحون القضية وكأنها ناتجة عن تصاعد التيار الإسلامي. وطبعا فهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، كما بيّنت المسوح والأبحاث المختلفة التي أجمع المسيحيون الفلسطينيون الذين جرى استبيانهم فيها على أن العامل الديني ليس له دور في قرارهم بالهجرة.

ويشير صاحب السمو الملكي الأمير الحسن إلى هذا الأمر بدقة حين يقول في مقابلة «الميدل ايست كورترلي» إن الذين يهاجرون هم غالبا الأكثر مهارة، وإن الهجرة هي في واقع الأمر هجرة أدمغة. وبالإضافة لانفتاح المسيحيين العرب على العالم الخارجي، فإن الحكومات الغربية تبدو أكثر استعدادا لاستقبال المهاجرين

---

27. Prince El Hassan bin Talal, "Jordanian Christians are Fully Integrated," The Middle East Quarterly, Winter 2001, Volume VIII: Number 1.

28. Fargues, Philippe, "Demographic Islamization: Non-Muslims in Muslim Countries," SAIS Review 21, No.2, 103-16, Summer/Fall 2001. See also "The Arab Christians of the Middle East: A Demographic Perspective," in A. Pacini, ed., Christian Communities in the Arab Middle East, Oxford and New York: Carendon Press, 1998 pp. 48-66. Also with Youssef Courbage, Christians and Jews under Islam, London and New York, I. B. Tauris, 1997.

29. Fargues, Demographic Islamization, ***Ibid.***

المسيحيين. «توجد درجة معينة من الأفضلية، ربما عند السفارات الأجنبية، لاستقبال المهاجرين المسيحيين. ويعود هذا جزئيا لديانتهم، وكذلك لمعرفتهم بالطرق الغربية، إذ إن الكثير منهم قد أتم تحصيله التعليمي في المدارس الخاصة التي تديرها المؤسسات الغربية». [٣٠]

ايقاف نزيف الهجرة

في مؤتمر مسيحي إسلامي عقد في بيت لحم حول الهجرة المسيحية، أذكر أن زميلا لي قد شدد في مداخلته على ضرورة اتخاذ جميع الخطوات لوقف نزيف الهجرة، بما فيها خطوات قصاصية ضد أولئك الذين يعتزمون الهجرة. وقد قام بعض رؤساء الكنائس بزيارات لقناصل الدول الغربية في القدس للطلب منهم عدم إعطاء أية أفضلية لطلبات الهجرة من المسيحيين الفلسطينيين. ويرى آخرون بان أفضل طريقة لوقف نزيف الهجرة يكمن بالإقناع، وبتوفير أماكن السكن، وفرص العمل، والإغراءات الاقتصادية. ومع الألم الكبير الذي تتركه الهجرة في الوطن، إلا أنه لا يمكننا التدخل بحرية التنقل، وهي حرية أساسية تعترف بها الدول العربية كبقية المجتمع الدولي. ولا يمكن لأية حكومة تحترم حق الفرد أن تمنع عنه الحق في التنقل إذا ما كانت إرادته كذلك. وبالتالي فإن التحدي هو كيفية معالجة الأسباب والجذور التي تدفع إلى الهجرة وإلى تشجيع فئة الشباب بشكل خاص على أن يلتزموا بالبقاء في وطنهم وأن يخدموه. ولابد من خطوات عملية وناجعة، من جهة، وكذلك لا غنى عن بلورة رؤية اجتماعية، من جهة أخرى، للتصدي للهجرة. وفيما يأتي بعض الخطوات العملية التي يمكن التفكير فيها في هذا المجال:

١. دراسة الأوضاع الاقتصادية وحالة السوق للوصول إلى ما هو متطلب أكثر من غيره لتشجيع الشباب على التعلم واكتساب المهارات الأساسية المناسبة.

٢. مساعدة الشباب على الانخراط ببرامج تعليمية مرتبطة بالتطورات التقنية وتلك المصاحبة لظاهرة العولمة.

٣. توفير خدمات استشارية لمساعدة الشباب على البدء بالمشاريع الاقتصادية الخاصة والمحافظة على استمراريتها.

٤. العمل على أن يكتسب الجيل الصاعد قيم الاستقلالية والاعتماد على الذات أساساً للتجذر في الوطن وفي المجتمع المحلي.

٥. تشجيع التوأمة بين المشاريع الاقتصادية المبتدئة ومشاريع مشابهة في دول أخرى، مع إمكانية الزيارات المتبادلة والمشاركة في المعلومات والخبرات المناسبة.

ويتوجب أن تترجم مثل هذه الخطوات إلى برامج عمل على الصعيدين المحلي والوطني، وأن تصل إلى كل فئات المجتمع لأن الهجرة، كما وصفها سمو الأمير الحسن، هي هجرة أدمغة تطال المجتمع ككل. وبالتالي فلا يمكننا حين نواجه شرور الهجرة إلا أن نكون شموليين. فالاستثنائية والانتقائية في مواجهة الهجرة وآثارها السلبية تعني أن الفجوات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع وفي العالم العربي لا بد أن تزداد. وبالتالي فلا غنى عن رؤية تُوجِّهُنا وتعمل على تكاتف جهودنا. ويتحدث سمو الحسن عن مثل هذه الرؤية حين يقول: «إن الأردنيين بغض النظر عن الدين هم جزء من المجتمع بتقليد من الاحترام المتبادل. إن مساهمة النهضة، وهي في صميم التفكير السياسي الهاشمي، تقوي من مبدأ الاحترام المتبادل ومفهوم المشاركة ما بين العرب المسلمين والمسيحيين للمحافظة على الرؤية والتعبير عنها». [٣١]

30. Prince El Hassan, ***op. cit***.
31. Prince El Hassan, ***op. cit***.

وانطلاقا من هذه الرؤية الهاشمية، يدعو الحسن إلى سياسة شمولية كجزء لتوجه أكثر عمقا نحو مشكلة الهجرة. إن هذه السياسة الشمولية تعترف بحقوق كل فرد في المجتمع وتوفر الاحترام لها. كما ويذكّر الحسن بأهمية «نظام التمثيل النسبي» كما هو معمول به في الأردن، وكذلك في فلسطين وفي بعض الدول العربية. ويشجع الحسن الجميع على الاشتراك في الحياة العامة للمساهمة في الحوار الوطني وفق خطوط تعددية، خاصة لأن المجتمع المدني يحتاج إلى الكثير من الجهود قبل أن يتطور بشكل كافٍ. [٣٢]

ولا جدل في أنه إذا ما حل السلام العادل والحقيقي، فإن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تؤدي إلى انعدام الاستقرار ستنقلب إلى عوامل إيجابية، وبالتالي فستؤثر في التقليل من الهجرة بشكل ملحوظ. لكن الواقع يقول إن مثل هذا الحل العادل كأساس للسلام الحقيقي هو أمر بعيد المنال اليوم. وبالتالي فعلينا التشديد على الرؤية الشمولية وعلى الخطوات العملية والبراجماتية للحفاظ على شبابنا في الوطن وللوطن. إن الفشل في الالتزام بمثل هذه الرؤية الشمولية يعني أن عناصر الفرقة قد تجد منفذا لها يضعف من عزمنا ونحن نواجه جميعنا التحديات الاقتصادية والتعليمية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية نفسها.

العلاقات الاسلامية المسيحية والرؤية الشمولية

وصف أكاديمي ألماني الفلسطينيين بأنهم «شعب يصلي». ومثل هذا الوصف للبروفسور هانف يمكن أن ينسحب على الشعوب العربية بأغلبيتها. وحتى المسيحيون الفلسطينيون وكذلك المسيحيون الأردنيون وغيرهم من المسيحيين العرب، وإن كانوا أقل مواظبة على الصلاة، فإنهم بحسب المقاييس الغربية أكثر تدينا مما يوجد في الغرب. [٣٣]

إن التدين في الشرق الأوسط يعكس حقيقة أن الدين هو عنصر تنظيمي ومهم لحياة الجماعات والعائلات والأفراد. ويجب علينا أخذ هذه الحقيقة في الحسبان حين نتكلم عن الرؤية الشمولية للمجتمع. إن تجربة الديانتين الإسلامية والمسيحية القابلة للشمولية المجتمعية تؤكد عليها مجموعة من العوامل التاريخية والعلاقات المتازة التي تميّز بها اللقاء الإسلامي المسيحي في شرقنا العربي.

ومن هذه العوامل التاريخية أذكر:

أولا: التاريخ المعاصر للأردن وفلسطين، والأثر الذي تركه الصراع العربي الإسرائيلي بكل أبعاده على السكان ككل دون اعتبار للخلفية الدينية أو أية خلفية أخرى.

ثانيا: مساهمات المؤسسات المسيحية، التي بدأت بمؤسسات غربية في الأصل تعربت مع مرور الزمن، منذ القرن التاسع عشر في مجالات التعليم والصحة والخدمات المختلفة بغض النظر عن الخلفية الدينية للذين طالتهم هذه المساهمات.

ثالثا: وجود الأماكن المقدسة المسيحية واعتراف الإسلام بها. ولاشك في أن العهدة العمرية التي أعطاها الخليفة عمر رضي الله عنه للبطريرك صفرونيوس عند فتح القدس في عام ٦٣٨م لحقوق المسيحيين وأماكن عبادتهم هي أوضح مثال لاعتراف الإسلام بالأماكن المسيحية المقدسة.

رابعا: تواجد المسيحيين في أماكن سكن مشتركة في المدن مع غيرهم من المواطنين يشاركونهم العيش الواحد بآلامه وآماله. وفي تلك المناطق الريفية والقبلية حيث تواجد المسيحي جنبا إلى جنب مع المسلم، فإن التجارب المشتركة

32. Prince El Hassan, *op. cit.*
33. Hanf, Theodor and Bernard Sabella, *A Date with Democracy - Palestinians on Society and Politics: An Empirical Survey*, Arnold Bergstraesser Institut, Freiburg, i. Br. Chapter 4, pp. 49-61.

والتحالفات القبلية والعشائرية قد قوّت من تجربة الحياة المشتركة.

خامسا: يعتز المسيحيون بجذورهم القومية والدينية في آن واحد. فالمسيحي الطيب هو أيضا مواطن طيب يعتز بعروبته وبانتمائه للوطن. لذا كان من الطبيعي أن يلعب المسيحيون العرب دورا مميزا في الحركة القومية العربية، وأن يتماثلوا والتراث الإسلامي الحضاري المشترك مع غيرهم من المواطنين.

سادسا: نظام الملة العثماني، الذي اعترف باستقلالية الكنائس المسيحية في إدارة شؤونها الذاتية خاصة تلك المتعلقة بالأمور الدينية والمدنية العائلية.

فلا عجب إذاً أن يلتقي الإسلام والمسيحية في الكيان العربي الواحد. وفي كتابه «المسيحية والعرب»، يذكر نقولا زيادة البدايات العربية للمسيحية، والصلات التي ربطت المسيحيين العرب بإخوتهم المسلمين العرب، والمساهمات الأدبية والمهنية للمسيحيين العرب في الحضارة الإسلامية عن طريق التأليف، والإدارة، والترجمة، وفي مجالات أخرى خلال فترات تاريخية مختلفة شهدت تعاقب السلالات ونظم الحكم. ويتبع ذلك أن التزام العربي المسيحي بالحضارة العربية الإسلامية كما يعبر عنه نقولا زيادة هو التزام يؤكد على اللحمة والعيش المشترك خلال تاريخ طويل. يقول زيادة: «أنا وجريس وطنوس وشنودة ورثة حضارة واحدة عربية إسلامية. عملنا في وقت من الأوقات في بناء صرحها. ونحن أبناء أرض نمت هذه الحضارة فيها. ونحن عرب بقدر ما هو كل مقيم في أرض العرب عربي... نعم هذه حضارتنا التي بدأ العمل فيها قبل نحو ستة آلاف سنة على أقل تعديل.»[٣٤] الشمولية على خلفية التاريخ والتراث المشترك هي إذاً أمر طبيعي يتوجب علينا جميعا الالتزام به. ولاشك بوجود حقب تاريخية تميزت بتفسيرات ضيقة وضعت العلاقة المسيحية الإسلامية في إطار التراث العربي الإسلامي المشترك موضع تساؤل. لكن غالبا ما كان مصدر هذه التساؤلات التشكيكية من خارج المحيط العربي الإسلامي.

إن أهمية الشمولية في العلاقات المسيحية الإسلامية ودلالتها تكمن في تحدّيين اثنين يواجهان المجتمع العربي الإسلامي اليوم. أما التحدي الأول فهو تحدي النهوض بمجتمعاتنا العربية ومساهمة حوار الحياة بين المسلم والمسيحي في هذا الأمر الحيوي، بينما يكمن التحدي الثاني في مواجهة البيئة المعادية للعرب وللإسلام في بعض الأوساط الغربية، خاصة عقب أحداث ١١ أيلول/سبتمبر.

تحدي النهوض بالمجتمع والرؤية الشمولية القائمة على حوار الحياة

لا يمكن لمجتمعاتنا أن تواجه تحدي النهوض والتنمية دون تبني الرؤية الشمولية. وواقع أن المرء يلتزم بدينه ويعمل بمبادئه مرشدا وهاديا لا يتعارض وحقيقة أننا جميعا نعيش في المجتمع نفسه، ونتطلع لرفاهيته ونتفكر بمستقبله لنا ولأطفالنا وللأجيال الصاعدة. وهذا الأمر دافع لنا جميعا على تضافر الجهود وتواصلها لما فيه خير المجتمع ككل. وينعكس هذا في إجابات عينة ممثلة للمسيحيين في الأرض المقدسة في بحث ميداني، سبق ذكره، إذ أشارت إلى اهتمام المسيحيين في فلسطين والأردن برفاهية المجتمع وخيره، وبالحاجة إلى المساهمة الفعّالة، وبأن الكنيسة ومؤسساتها هي جزء لا يتجزأ من مؤسسات الخدمة في المجتمع ككل. وبالمثل فإن الكثير من المؤسسات الإسلامية، هنا وفي الخارج، تهتم بما يحدث للعرب، خاصة الفلسطينيين، دون اعتبار للخلفية

34. Ziadeh, Nicolas, ***Christianity and the Arabs***, Fourth Edition, Sinbad, October 2002, pp. 256-257.

الدينية. وفي العام ١٩٩٤ قامت مؤسسة التاجر الوقفية «عالم الإسلام» في بريطانيا بالدعوة إلى المؤتمر المسيحي الفلسطيني الأول في وندسور لمناقشة أمور المسيحية في فلسطين. وقد قامت هذه المؤسسة الإسلامية بتغطية تكاليف المؤتمر كافة. بما فيها طباعة وقائع هذا المؤتمر ونشرها بالإنكليزية والعربية. وفي العام ١٩٤٩ حين شب الحريق في كنيسة القيامة، قام المسلمون أسوة بإخوتهم المسيحيين بالمشاركة في إطفاء الحريق. وكان على رأس المسلمين جلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين مؤسس المملكة.[٣٥] ويذكر التاريخ أن مسيحيين قد خدموا في مسجد الصخرة والمسجد الأقصى، وأنهم أسوة بإخوتهم المسلمين قد هبوا للدفاع عن الحرم الشريف حين هددته الأخطار. ويذكر سمو الأمير الحسن في كتابه عن **«المسيحية في العالم العربي»**، الذي نشر في عدد من اللغات، مساهمات العرب المسيحيين في مجالات مختلفة، ويدعو سموه إلى معرفة أفضل عند المسلمين للمسيحيين الذين يعيشون جنبا إلى جنب معهم. ويشدد الحسن على ضرورة المعرفة المتبادلة في عالم لا يمكن لأتباع الديانات المختلفة أن يتجاهلوا فيه أحدهم الآخر.[٣٦] وبالطبع فإن فهم أحدنا للآخر لن يؤدي إلى إضعاف التزامنا بديننا، لكنه حتما سيساعد في تخطي الجهل عن المسيحية عند المسلمين، وبالمثل في تخطي الجهل عن الإسلام عند المسيحيين، خاصة أولئك الذين يوجدون في أوروبا والعالم الغربي. ولابد من التنويه بالمقالة التي كتبها الأمير طلال بن عبد العزيز في ٢٩ كانون ثاني/يناير ٢٠٠٢ في جريدة النهار اللبنانية حول الآثار السلبية للهجرة المسيحية العربية. فقد طالب بعمل كل ما يلزم لإبقاء المسيحيين العرب في موطنهم، ليس فقط من قبل المسيحيين العرب، وإنما من قبل المجتمع العربي كذلك. وإن دلت كل هذه الكتابات والأحداث على شيء، فإنما تدل على الانفتاح والاهتمام والشمولية التي يبديها الكثير من العرب، سواء أكانوا شخصيات عامة أم عادية وبدون فرق بين المسلم والمسيحي.

إن الحياة اليومية بمشاغلها وعلاقاتها المتشابكة تشير إلى حوار حياة بين المسلمين والمسيحيين. ونشاهد هذا الحوار في المدارس وأماكن العمل والوزارات وقوات الأمن والجيش والشركات التجارية والجامعات، وفي غيرها من مناحي الحياة. وفي مثل هذا الحوار الحياتي، فإن الالتزام بتعاليم ديننا والاعتزاز به يولد الاحترام للآخر والثقة به. إن الطائفية التي تؤدي إلى الانغلاق الفكري على الآخر تؤدي بنا أيضا إلى العزوف عن مواجهة مشاكل المجتمع وتحدياته بشكل مباشر. ويجب أن يكون هناك تأكيد متبادل بعدم إطلاق الأحكام على أعنتها ونحن نحاول أن نفهم أحدنا الآخر ونعمل جنبا إلى جنب لمصلحة المجتمع والخير العام. علينا أن نحصي كل مصادرنا، البشرية وغيرها، ونحن نجهد سوية لتوفير الحياة بكرامة للأجيال القادمة. ولا يمكن تحقيق هذا دون انفتاح أحدنا على الآخر، ودون الإرادة المشتركة لاستمرارية حوار الحياة بيننا. ويمكن لمسيرة العيش المشترك للأردنيين، عشائر وقبائل، مسيحيين ومسلمين، وللفلسطينيين كذلك، أن تعلمنا درسا أو اثنين يساعداننا على تخطي التحديات التي تواجه مجتمعنا.

تحدي ما بعد ١١ أيلول/سبتمبر

يمكننا استخدام تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية وحوار الحياة الشمولي لمواجهة ظاهرة معاداة العرب ومعاداة الإسلام التي ظهرت ما بعد ١١ أيلول عند البعض في المجتمعات الغربية. وبينما يحلو للبعض أن يصفوا المسيحيين العرب كالجسر ما بين العالم العربي

35. **"Hashemite Restoration of the Islamic Holy Places in Jerusalem,"** *http://www.kinghussein.gov.jo/islam_restoration.html* which mentions the various Hashemite sponsored restorations of the Islamic Holy Places especially those undertaken in the Noble Sanctuary, Al Haram Al Sharif, in the twenties, fifties, sixties an nineties of the 20th Century. The founder of the Hashemite Kingdom of Jordan, HM King Abdullah I, is mentioned as having participated himself together with other Moslems and Christians in helping to fight a fire that broke out in the Church of Holy Sepulchre in 1949.
36. See El Hassan bin Talal, ***Christianity in the Arab World,*** (English 1995; Arabic 1995; French 1997; Greek 1997; Spanish 2002; Russian 2002; German 2003). English edition reprinted in 1998 by SCM Press with Foreword by HRH The Prince of Wales.



والعالم الغربي [٣٧]، أفضّل شخصيا أن نتكلم مع الغرب بصفتنا عرباً يشاركون إخوانهم المسلمين نفس أحياء السكن وأماكن العمل. ومن هذا المنطلق فنحن، بكوننا مسيحيين عرباً عشنا تجربة العيش المشترك مع المسلمين، نستطيع أن نخاطب الغرب عن هذه التجربة، وأن نبين سوية مع غيرنا من أبناء الوطن تلك الأبعاد والجوانب عن الإسلام والمسلمين التي يجهلها أو يتجاهلها بعض أهل الغرب. وإذا ما أردنا أن ندافع عن الإرث العربي الإسلامي أمام هجمة البعض في الغرب، فعلينا أن نقوم بهذا متحدين متراصين لا فرق بين المسيحي والمسلم. وأفضل حتما هذا الأسلوب على تشبيه الجسر، مع أن الجسر يخدم للربط بين جهتين، إلا إن المشاة والمركبات تسير عليه دون إيلائه الكثير من الأهمية وكأنه تحصيل حاصل. وصحيح إن انفتاحنا على الغرب وثقافته كان محصلة لتربيتنا وبفعل الجذور الدينية المشتركة معه التي تسهل المخاطبة والتبادل. لكن هذا الانفتاح لم يخفف أبدا من اختلافنا مع الغرب، أسوة ببقية العرب والمسلمين، حين يتخذ الغرب مواقف من قضايا العرب، خاصة قضية فلسطين واليوم قضية العراق، تتسم بانعدام الحساسية وانعدام العدالة. وقد تتهمنا بعض الجهات الغربية، خاصة السلفية المسيحية منها، بأننا نتماشى مع الإسلام والمسلمين حفاظا على مصالحنا. لكنها تتجاهل بأن تماثلنا مع الإسلام والمسلمين ينبع عن إيمان عميق لدينا بأن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارتنا، نعتز بها ونتفاعل معها، مع كل ما يتبع هذا التفاعل من أبعاد وجوانب.

أذكر أن جيل الآباء كان يعبّر عن غضبه أمامنا من مواقف الدول الغربية، التي أدارت ظهرها لقيم المسيحية وتعاليمها حين دعمت قيام دولة إسرائيل على حساب شعبنا العربي الفلسطيني وشتاته. إن الأمر غير العادل هو غير عادل بغض النظر عمن يرتكبه، ونحن بصفتنا مسيحيين عرباً نرى في ديننا دين محبة وعدالة، وأن الدول القوية اليوم في الغرب، والتي يدين غالبية سكانها بهذا الدين، عليها أن تمتثل لقيم المحبة والعدالة التي تدعو لها المسيحية.

وتتحدانا أحداث الحادي عشر من أيلول بأن نقف متكاتفين، وأن ننشر قدر المستطاع تجربة عيشنا المشترك في علاقات جوار طيبة وأخوية في فلسطين والأردن وسورية ولبنان والعراق ومصر وغيرها من الدول العربية، وأن تقوم الكنائس العربية ورؤساؤها، ومؤسسات الحوار والأبحاث، مثل منتداكم الموقر والمعهد الملكي للدراسات الدينية، وكذلك الأكاديميون والمثقفون بنشر هذه التجربة الثرية. ويقوم مجلس كنائس الشرق الأوسط بالعمل الحثيث بين جماعات وكنائس مختلفة في الغرب وبالاشتراك مع مجلس الكنائس العالمي في تبيان صور التسامح والعيش المشترك بين الإسلام والمسيحية في ربوع شرقنا العزيز. وقد نشطت في المدة الأخيرة، خاصة بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر، المؤتمرات واللقاءات بين أتباع الديانات التوحيدية وبين الناس ذوي النوايا الطيبة من كل الخلفيات للتقريب والتواصل والحوار.

لكن المسؤولية تقع على أكتافنا لبلورة رسالة يمكن إيصالها لملايين الناس في الغرب وفي العالم كله. والبعض هنا في عالمنا العربي الإسلامي يدّعون أن الحوار والتبادل بين الأديان وبين المسيحية والإسلام هي محاولة للتبشير وإضعاف الإيمان. وهذه النظرة حتما تثير المشاكل، خاصة لأنها تتنافى وسجل العلاقات المسيحية الإسلامية الممتازة مع قناعة كل طرف بتعاليم دينه وبمبادئه. وبالإضافة، فإن التخوف من الحوار والالتقاء يتنافى

37. Reverend Samir Khalil Samir, "Arabic Christians like Bridge between Islam and the West," in *People Milan*, Fevrier, Revue de Missionaires Des Jesuites 1997 pp. 13-14. See also his "Présence et Témoignage des Chrétiens dans le Monde Arabe."

وحوار الحياة الشمولي الذي جمع المسلم والمسيحي في شرقنا على مر العصور وبيّن عظمة الإسلام وسماحته. إن عظمة أي دين تكمن في مقدرته على الانفتاح على الآخرين مرتكزا على تعاليمه ومبادئه. وإذا كان هذا صحيحا للأديان عامة، فكم هو أصح للإسلام وهو خاتم الديانات التوحيدية؟

تحدي المواطنة

في بحث ميداني أجري على عينة عشوائية من الفلسطينيين في أواسط التسعينيات كان هناك سؤال حول كيفية تعريف المرء بنفسه. وقد عرّف المسيحيون أنفسهم، بنسبة أعلى من بقية السكان، كفلسطينيين وكعرب، وليس بحسب دينهم. وهذا أمر طبيعي إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الخصائص الاقتصادية والاجتماعية وأسلوب الحياة عند المسيحيين الذي يتميز ببعض البعد عن الدين. وحين طرحت أسئلة حول الهوية السياسية كان من الواضح أن المسيحيين يميلون إلى الوسط ويسار الوسط. وهذا يؤكد أن الخلفية الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى أسلوب الحياة، توجه المسيحيين نحو خيارات وسطية ذات طابع شمولي، قومي في مرحلة من المراحل، همه مشكلات المجتمع وتحدياته العامة. ويثير الطرح الديني الصرف، بغض النظر عن التأكيدات التي يعطيها السياسيون والجماعات الإسلامية، الشعور عند المسيحيين العرب بأنهم خارج الإطار العام لهذا الطرح. وبالتالي فهنالك نزعة عند المسيحيين، رغم ميلهم إلى الوسطية، للتوجه هم أيضا إلى الدين والتقوقع في مواقعهم ومواقفهم. وقد يكون المسيحيون أكثر انفتاحا لبيئتهم، إذ إن ١٠ بالمائة من المسيحيين الفلسطينيين مقابل ٤ بالمائة من المسلمين يقبلون، حسب البحث الميداني الذي ذكر أعلاه، مبدأ الزواج بين الأديان. ومع هذا، فإن المسيحيين، مثلهم مثل المسلمين، يستعملون الديانة أساساً للهوية الجماعية والتنظيم الاجتماعي. وبالتالي فإن تحدي المواطنة، مثلها مثل الشمولية، هو في كيفية التوفيق بين المبدأ الديني لتنظيم الجماعة وتحقيق الذات، وبين قضايا الوطن التي تمس كل المواطنين بغض النظر عن الخلفية الدينية أو غيرها. وبينما يحبذ البعض للمجتمع العربي الإسلامي أن يكون تعدديا وديمقراطيا، فلا شك بأن المبادىء الدينية والتقاليد المتوارثة تؤثر في نوعية التعددية ومعنى الديمقراطية في عالمنا العربي. وبينما تثير التفسيرات الدينية الضيقة بعض الحساسيات هنا وهناك، إلا إنها كذلك تثير بعض التساؤلات الاجتماعية والقانونية التي تتطلب حلولا وإجابات. وليس المجال هنا لبحث مطول حول هذه القضايا، لكنها تشير إلى حقيقة أن الفهم الديني والتفسيرات التي تصاحبه، بغض النظر عن الديانة، هو أمر يطبعنا بمتطلباته والتزاماته التي تؤثر بدورها على كيفية رؤيتنا للمجتمع ووظائفه وصيرورته.

وقد يكون النموذج الذي يمكن أن يجسر بين الهويات الدينية والصالح العام، والذي يؤكد على مبدأ التفاهم المتبادل والتعلم واحدنا عن الآخر ومن الآخر، هو نموذج الدولة بمؤسساتها الحديثة. وإذا ما نجحت الدولة بمؤسساتها في احترام خصوصيات المواطن وحقوقه الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإن المواطن حتما سيشعر بالرضى والراحة. وسيتعلم المواطن في الدولة النموذج التوفيق أيضا بين حقوقه هو وحقوق جماعته، وحقوق المواطنين الآخرين وجماعاتهم. فواجب الدولة النموذج، إذاً، أن تعمل على التوافق والتآلف وليس على الهيمنة. وبالتالي فإن قوة الدولة النموذج من خلال قوانينها ومحاكمها ومؤسساتها النيابية وقواها التنفيذية هي في تأكيد المشترك، وفي التأكيد على أهمية مشاركة الجميع بغض النظر عن علاقات القوى والتركيب الاجتماعي الذي

يفضل جماعة على أخرى. ومن هنا فإن التحدي للمواطنين، مسلمين أو مسيحيين، في المجتمع العربي هو في كيفية الالتزام بقوانين الدولة العصرية النموذج والحد من السعي للحصول على مزايا أو معاملة خاصة تبعا لموقعنا أو لخصائصنا الخلقية. وهذا تحد صعب للغاية، وربما يتطلب من البعض منا أن يقتدوا بالولاة والقديسين، خاصة لأن تمحورنا الاجتماعي حول العائلة والدين، وحتى الإقليم، يدفعنا طبيعيا إلى الاعتزاز بأصولنا وتفضيلها بشكل عفوي على أصول الآخرين من المواطنين.

الرؤية الهاشمية

التزم الهاشميون منذ البدايات الأولى بمبدأ الشمولية ومبدأ الدولة النموذج لكل مواطنيها. ويذكر صاحب السمو الملكي الأمير الحسن في مقابلته في الميدل إيست كورترلي أن حركة النهضة هي أساس التفكير السياسي الهاشمي «وهي تسعى لنشر الاحترام وتقويته بين عناصر المجتمع المختلفة. وترتبط حركة النهضة، بحسب سموه، بعصر التنوير في أوروبا القرن الثامن عشر. صهرت حركة النهضة ما بين الهويتين العربية الإسلامية والعربية المسيحية في رؤية مشتركة».[٣٨] ولم يتوان سموه من خلال نشاطاته المختلفة في مجالات النشر والمحاضرات والندوات واللقاءات والمؤتمرات ورعايته للعلماء الباحثين في التأكيد على أهمية التفاهم والمعرفة المتبادلين والعمل للصالح العام.

وتنصب الرؤية الهاشمية وتنعكس في الدولة النموذج ومؤسساتها في الأردن. وتشدد على المواطنة أساسا للمساهمة والبناء. ولم يكن من السهل للهاشميين الوصول بالأردن إلى هذه المرحلة المتقدمة، لكن صبرهم ومثابرتهم وقيادتهم تمكنت من تخطي التحديات والعوائق المختلفة.

صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني: الأردن نموذج تعايش

وقد أكد صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني على الرؤية الهاشمية والالتزام بها خطاً ومبدأ في الكثير من المقابلات الصحفية والزيارات المتبادلة هنا وفي الخارج. وحين استقبل جلالته غبطة البطريرك أغناطيوس زكا، بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية لأنطاكية وكل الشرق، في حزيران الماضي، كرر جلالته أن الأردن هو نموذج للتعايش بين مواطنيه من أتباع الديانتين التوحيديتين. وفي رده على كلمة جلالته، ذكر غبطته بدور العائلة الهاشمية في التركيز والحفاظ على قيم التسامح والعلاقات الأخوية والتعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين، وبأن الأردن كان دوما نموذجا فريدا في هذا المضمار.[٣٩]

الرئيس عرفات والسلطة الوطنية

وفي فلسطين يقوم السيد الرئيس ياسر عرفات، كما تقوم السلطة الوطنية، بجهود حثيثة لإشراك المواطنين كافة في مسيرة التخلص من الاحتلال وإقامة دولتنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف. وعلى الرغم من آلام المخاض الصعبة في فلسطين، إلا أننا، كما في الأردن، نعمل بمبدأ التمثيل النسبي بحيث يوجد الكثير من المسيحيين في جميع مؤسسات السلطة الوطنية، من المجلس التشريعي إلى الوزارات وغيرها من الدوائر والمؤسسات العامة. وتتميز العلاقات المسيحية الإسلامية بالانفتاح والتآخي والألفة. وهذا ما يجعلنا نشعر بالتفاؤل بأن

38. El Hassan, Middle East Quarterly, *op. cit.*
39. The Jordan Times, 22/06/2004.

مستقبل فلسطين هو مستقبل الدولة النموذج.

المواطنة والعولمة والتحالفات الإقليمية

لكن المواطنة في هذا الزمن من العولمة ومن التحالفات الإقليمية قد لا تكفي للتغلب على التحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الوطن الصغير، وقد تدفع ببعضنا إلى الهجرة. فلا عجب، إذاً، إذا أبدى معظم الفلسطينيين، والمسيحيين فيما بينهم، تحمسهم بشكل أكثر بقليل لترتيبات إقليمية في المستقبل، كما تبين إجاباتهم للعبارات التالية في استفتاءين أجريا في العام ١٩٩٥ والعام ٢٠٠٠:

	١٩٩٥		٢٠٠٠	
			المسيحيون	
	المسيحيون	المسلمون	فلسطين	إسرائيل
لا يمكن للدول في إقليمنا الاستمرار بدون ترتيبات اقتصادية على صعيد الشرق الأوسط.	٨٨٪	٨٧٪	٨٥٪	٨٧٪
إن التعاون والتنسيق في كل المجالات سيميزان العلاقات بين الأردن والفلسطينيين على المدى البعيد.	٨٠٪	٧٣٪	٦١٪	---
يجب على العلاقات مع الأردن أن تتطور نحو اتحاد كونفدرالي يشمل جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.	---	٦٢٪	٦١٪	٧٤٪

والملاحظ من هذه الإجابات أو الردود حول الترتيبات الإقليمية والعلاقة الفلسطينية الأردنية هو أن الكتابة على الحائط تدعو جميع الزعماء إلى العمل نحو ترتيبات عملية ونفعية تربط ما بين الدول ولا تؤدي إلى التقوقع داخل الدولة الواحدة. وطبعا فإن لكل دولة خصائصها ومميزاتها التي تسعى للحفاظ عليها، لكن العولمة وتحالف الدول في مجموعات إقليمية، سواء في اتحادات اقتصادية أو في غيرها، تجعل من مواجهة التحديات أجندة إقليمية تشارك فيها دول متعددة ومتجانسة للوصول إلى مواطنة تستطيع أن تتعايش مع العولمة وضغوطاتها المختلفة.

القوى المسيحية الغربية وتشويه العلاقة الاسلامية المسيحية

أن الإشكالية في فلسطين، كما في غيرها من الدول العربية، هي في وجود قوى مسيحية غربية تدعم إسرائيل وتتحين الفرص لتحويل أي حدث في بيت لحم أو الناصرة أو غيرها من المدن والبلدان إلى حدث ديني تدعي فيه حدوث التمييز والضغط وحتى الاضطهاد على أساس ديني. وقد تحدث غبطة البطريرك ميشيل صباح حول هذا الموضوع في مؤتمر الحوار المسيحي

الإسلامي الذي دعا إلى عقده الرئيس عرفات في العاشر من آب المنصرم في مدينة رام الله. وقد شدد الرئيس على أن الفلسطينيين أقوياء بوحدتهم الإسلامية المسيحية. أما غبطة البطريرك فقد حذر من أن بعض الجهات تعمل للتفريق وبث بذور الشقاق والصراع بين الإخوة، وطالب غبطته بإيجاد مؤسسات وأندية فكر، وتنظيم لقاءات وحوارات بهدف تبادل المعارف والمشاعر والأخوة الصادقة بين المسلمين والمسيحيين. كما دعا إلى إقامة مؤسسة تجمع بين القادة الدينيين للمسيحيين والمسلمين بشكل متواصل.[٤٠] ومما لا شك فيه أن مثل هذا الأمر يضعف من تعاضدنا وتماسكنا إذا سمحنا له بذلك. لكنه أيضا ينبهنا جميعا إلى ضرورة التمسك بالتجربة التاريخية الرائعة للعلاقات المسيحية الإسلامية وتفويت الفرصة على أولئك، خاصة الأصوليين المسيحيين في الولايات المتحدة الذين يريدون بث الخلاف بيننا. وعلينا نحن المسيحيين الفلسطينيين والعرب مسؤولية خاصة في هذا المجال، وهي ألا نسمح للقوى الغربية عنا بأن تستغلنا لأغراضها التي هي في المحصلة النهائية ضد الرؤية الشمولية المرتكزة على تاريخ طويل من علاقات التعايش الحسن ما بيننا وبين إخوتنا من المسلمين. وأود هنا أن أنوه بأن الدراسات والأبحاث المختلفة التي أجريت منذ بداية التسعينيات في فلسطين تشير جميعها إلى اتفاق شبه إجماعي على أن العلاقات المسيحية الإسلامية في فلسطين هي علاقات ممتازة ونموذجية تصلح مثالا لغيرنا من الدول. وفي موضوع الهجرة المسيحية تحديدا، فإن الأسباب التي تؤدي إلى الهجرة كما ذكرت سابقا هي أسباب اقتصادية وسياسية، ولا يوجد أي أساس علمي أو موضوعي لعرض الهجرة المسيحية وكأنها نتيجة لازدياد الصحوة الإسلامية وتعاظم قوة التيار الديني. لكن بعض الجهات المسيحية المتطرفة في الغرب تود أن تضع الأمور بهذا المنظار. وللأسف فإن لديها الإمكانات الهائلة والملايين من الأتباع الذين يؤمنون بشكل أعمى بما تبثه الإذاعات ومحطات التلفاز وتنشره الصحف والمجلات التي تمتلكها هذه الجهات. وعلينا، إذاً والأمر هكذا، أن نتفكر باستراتيجية نعمل بموجبها للوقوف أمام هذه التشويهات لعلاقة مسيحية إسلامية متميزة امتدت على مدار القرون وعالمنا العربي. وليس المجال هنا لبلورة هذه الاستراتيجية، لكن من المهم أن تعقد الندوات المتخصصة للبحث في الإمكانات والفرص المتاحة لنا في هذا المضمار.

القدس: زهرة المدائن ومدينة الجذور

في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٩٤ وقع اثنا عشر رئيسا للكنائس المسيحية في القدس والأرض المقدسة على وثيقة بعنوان «أهمية القدس للمسيحيين». وتعرض الوثيقة رؤية للقدس كمدينة مقدسة للديانات التوحيدية الثلاث ذات دعوة خاصة للمصالحة والوفاق بين الناس. ويقول رؤساء الكنائس إنه بسبب الأسئلة الصعبة حول وضع القدس والسيادة عليها، فإنها قد وضعت جانبا في العملية السلمية. وتقول الوثيقة إن الطروحات الضيقة، سواء من هذه الجهة أو تلك، حول المدينة المقدسة إنما تؤدي في نهاية الأمر إلى ازدياد الهوة، وحتى إلى الصراع. ويؤكد رؤساء الكنائس على أن القدس يجب أن تكون مدينة مفتوحة للجميع ويشارك فيها الجميع، وعليها أن تصبح عاصمة للبشرية جمعاء.

وجميعنا نعلم قدسية القدس للإسلام. فهي القبلة الأولى. وهي مسرى الرسول. وهي ثالث الحرمين الشريفين. ومنها عرج النبي العربي الكريم إلى السماء. فالقدس في القلب وفي الدين وفي التاريخ الحضاري والسياسي

40. *Al Quds Newspaper*, 10th August, 2004 pp. 1 and 31.

والثقافي لشعبنا العربي والفلسطيني. وكما هي القدس للإسلام، فهي أيضا للمسيحية. فالحضور المسيحي كان هنا منذ ولادة السيد المسيح وموته وقيامته في بيت لحم والقدس وغيرها من الأماكن المقدسة، تشهد على ذلك كنائسها وصوامعها، ومنها تلك الكنيسة التي اكتشفت في العقبة في العام ٢٠٠١ وتعود إلى القرن الثالث الميلادي، والتي اعتبرها البعض أقدم كنيسة في العالم.

وقد شدد رؤساء الكنائس في وثيقتهم حول القدس على أهمية حرية الوصول إلى أماكن العبادة وأهمية استمرارية الحج إلى القدس وغيرها من الأماكن المقدسة. وركزت الوثيقة على أهمية أن ينعم المسيحيون أسوة بغيرهم من المواطنين بالحقوق الأساسية نفسها في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية والقومية. وما يطلبه رؤساء الكنائس المسيحية لكنائسهم ومؤمنيهم يطلبونه أيضا لبقية المواطنين، مسلمين ويهودا، في المدينة المقدسة. وفي ختام الوثيقة يدعو رؤساء الكنائس كل الأطراف إلى الابتعاد عن الرؤى والأعمال الضيقة، وأن يعتبروا تطلعات الآخرين وحقوقهم الدينية والوطنية بدون أي تمييز حتى نعطي للقدس صفتها العالمية، وحتى نجعلها مدينة مصالحة للبشرية جمعاء.[٤١]

صاحب السمو الملكي الأمير الحسن والقدس

وفي مقالته «يا قدس يا قدس... أو نسيناك يا قدس!؟» يكتب الحسن: «ومنذ تلك الحرب (حرب ١٩٦٧) وصدور قانون حماية الأماكن المقدسة الإسرائيلي بعيدها، تعد إسرائيل نفسها الحارسة الحالية للأماكن المقدسة في المدينة القديمة بالتعاون مع زعماء الطوائف الدينية الثلاث». ويتابع الحسن: «ويتعامى هذا الموقف عن وضع إسرائيل القانوني كونها دولة احتلال أنكرت أي ضم للمدينة القديمة وضواحيها.» ويتساءل الحسن: «ما مستقبل القدس؟... هل سيكون مستقبل إجماع؟ أم مستقبلا ظرفيا محفوفا بالأخطار والتقلبات الظرفية التي تميز السياسة؟» ومن ثم يطرح سموه اقتراحا لإيجاد «سلطة معنوية للأماكن المقدسة تتجاوز المنظور التجريدي إلى الناحية العملية للأوضاع الحالية في مدينة القدس... فمن خلال السلطة الدينية المعنوية، نستطيع أن نبني تصورا موضوعيا لمستقبل مدينة القدس، آخذين بالحسبان تأثير الأماكن الدينية على المدينة، روحا وقالبا، وعلى فئات المجتمع فيها».[٤٢]

ويستند الحسن إلى خصوصية مدينة القدس حين يقول: «ومن ثم فليس باستطاعة أي سلطة سياسية إلا أن تعترف بحاجتها إلى القيادات الدينية في المدينة لتكون وسيطة بينها وبين المواطنين. وإن شبه الاستقلالية هذه لمدينة القدس هي الدافع العملي لإيجاد سلطة معنوية لجميع الأديان المتعلقة بالأماكن المقدسة. من هنا، قد يكون من المجدي أن يشارك مجلس ديني مؤلف من ممثلين عن الديانات الإبراهيمية الثلاث في إيجاد صيغة توافقية تمكن السياسيين من إيجاد حل عادل للقدس، مدينة السلام».

إن اقتراح الحسن هو ترجمة عملية لرؤية شمولية تحاول جاهدة أن تبقي على الوجود العربي الإسلامي والمسيحي في المدينة المقدسة. إن الاحتلال الإسرائيلي يهود القدس ويهمش سكانها مسلمين ومسيحيين ويدفعهم إلى الهجرة. والطرح الذي يقدمه سمو الحسن يهدف، في ما يهدف، إلى التأكيد على البقاء العربي الفلسطيني في المدينة المقدسة. ويلتقي طرح الحسن مع إجابات عينة ممثلة للفلسطينيين مسيحيين ومسلمين في استفتاء أجري حول القدس ووضعها:

41. Memorandum Heads of Churches, ***op. cit.***

42. *Al Quds Newspaper*, 6th July, 2004 p. 20.

	المسلمون	المسيحيون
القدس هي مدينة مقدسة للمسلمين واليهود والمسيحيين. يجب أن تكون هنالك الحقوق نفسها للديانات الثلاث في المدينة.	٦٣٪	٩٤٪
يجب على الأماكن المقدسة في القدس أن توضع تحت سيادة الديانات الثلاث، كل لأماكنها.	٦٦٪	٨٥٪

وتعتقد الغالبية العظمى من المسيحيين الفلسطينيين أن القدس مدينة مقدسة لليهودية والمسيحية والإسلام، ويتوجب بالتالي على كل ديانة أن تدير أماكنها المقدسة؛ بينما يعتقد ما يقرب من ثلثي المسلمين بالأمر نفسه، مما يدلل على إمكانية التوصل إلى حل حول هذا الموضوع الحساس. ويتماشى هذا مع ما طرحه سمو الأمير الحسن.

خاتمة

إنني بصفتي مسيحيًا فلسطينيًا أجد فكرة المجلس الديني فكرة بناءة تساهم في ضمان مستقبل شعبي في المدينة المقدسة، مدينة الجذور والسلام. وتضمن الفكرة في حالة تحقيقها الوجود الإسلامي والمسيحي استمرارا للتقاليد المتوارثة وللميراث الغني للإسلام والمسيحية في المدينة. ولا يمكننا الحفاظ على غنى الإسلام أو المسيحية إذا ما أكره المؤمنون والناشطون في ما بينهم على ترك البلد وهجرته. لكن أهم شيء لي كوني فلسطينيًا ومسيحيًا وربّ عائلة هو كيف أحافظ على أبنائي وعلى أبناء غيري في القدس وفي فلسطين، وكيف أرتبط، ليس فقط بمكان الجذور، بل بالجذور ذاتها التي أعطتني هويتي عربيًا يعتز بعروبته وينتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية أسوة ببقية المواطنين؟

إن صراعي بصفتي مسيحيًا فلسطينيًا هو صراع غيري من الفلسطينيين والعرب. ولن يخدمني أبدا أن أقف جانبا وأراقب عن بعد، أو أن أدعي بأنني لا أستطيع المساهمة بفعل الأرقام والنسب المئوية الضئيلة للمسيحيين من مجموع السكان. وما يقع على إخوتنا المسلمين يقع علي وما يصيبهم يصيبني. ومن يحاول التطاول على الإسلام يتطاول علي أنا كذلك بفعل ميراثي الحضاري كوني عربيًا ينتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية. لذا علينا جميعا أن نؤكد على الاحترام المتبادل ونحن نسعى لمجتمع متعدد ومنفتح بمؤسسات تخدم الجميع بدون استثناء. لكن من الضروري أن يكون لدينا رؤية تحول خلفياتنا وتعدديتنا الدينية إلى قوة، وتساهم في التأكيد على الأحسن والأرقى في حضارتنا العربية الإسلامية. نعم فنحن بصفتنا عرباً مسيحيين جزء لا يتجزأ من الرؤية الشمولية للحضارة العربية الإسلامية، كما كنا منذ أكثر من ستة آلاف سنة من التاريخ المشترك في منطقتنا هذه.

والسلام عليكم.

■



اجتماع الخبراء التشاوري حول تقرير توقعات البيئة العالمية (جيو - ٤) - إقليم غرب آسيا

د. محمد صيدم *

عكف برنامج الأمم المتحدة للبيئة (**اليونيب** UNEP) على إصدار تقارير توقعات البيئة العالمية المعروفة اختصارا بـ (جيو: GEO) منذ عام ١٩٩٧، حيث تم إصدار جيو- ١، وتبعه جيو- ٢٠٠٠ في عام ١٩٩٩، وجيو- ٣ في عام ٢٠٠٢ الذي تم إعداده خصيصاً قبيل القمة العالمية للتنمية المستدامة التي عقدت في مدينة جوهانسبرغ. ومن المتوقع إصدار جيو- ٤، موضوع هذا التقرير، في عام ٢٠٠٧. ويأتي إصدار هذه التقارير تلبية لمتطلبات التقييم الشامل للبيئة الواردة في الأجندة ٢١ بقرار من المجلس الحاكم لليونيب في أيار ١٩٩٥ الذي نص على إصدار تقرير عالمي شامل عن حالة البيئة في العالم. لذلك يسعى معدو هذه التقارير إلى تقييم القضايا البيئية الرئيسية وسياسات الاستجابة المرتبطة بها، بالإضافة إلى تحليل التحديات البيئية المستقبلية على المستويين الإقليمي والعالمي.

يرتكز إعداد تقارير جيو على مساهمات شبكة عالمية من المراكز المشاركة في عمليات توقعات البيئة. وتعد هذه المراكز مسؤولة عن الإنتاج الإقليمي بكامله، حيث تعمل على تجميع المساهمات المعنية بالتقييم المتكامل (من القمة إلى القاعدة)، والتقارير الفرعية (من القاعدة إلى القمة)، في حين توفر المؤسسات الأخرى الخبراء المتخصصين في القضايا المتداخلة أو الأساسية. وكذلك تقوم فرق عمل متخصصة بتقديم المشورة والدعم في مجال التقييم والتخطيط المتكامل لأنشطة توقعات البيئة. ويضاف إلى ذلك مساهمات وكالات الأمم المتحدة الأخرى في مجالات تقييم البيئة وتوفير البيانات والمعلومات البيئية والمواضيع المرتبطة بها، كما تنشط هذه الوكالات في مراجعة تلك التقارير. ويهدف هذا الأسلوب المتبع في إعداد تقارير جيو إلى تعزيز الدقة العلمية وتوخي الموضوعية بما يتناسب سياسياً مع توجهات القراء في مختلف مناطق العالم.

كان التركيز في تقرير توقعات البيئة العالمية الثالث (جيو- ٣) على تقديم تقييم متكامل لحالة البيئة في العالم منذ مؤتمر استكهولم عام ١٩٧٢، الذي شكل نقطة تحول عالمية لصالح الاهتمام بالقضايا البيئية. وخلص هذا التقرير إلى أن العالم قد خطا خطوات ملموسة في وضع البيئة على الأجندة السياسية على مختلف المستويات؛ مما أدى إلى انتهاج وضع السياسات وما يتبعها من أنظمة وقوانين بيئية مستحدثة. وكان

* مدير الوحدة المركزية للرصد والبحث البيئي في الجمعية العلمية الملكية/ عمّان - الأردن؛ **ممثّل المنتدى في هذا الاجتماع التّشاوري**.

للقرارات المتخذة في هذا المجال آثار مختلفة على الحاكمية والأنشطة الاقتصادية بمختلف المستويات. وانعكس ذلك أيضاً على العلاقات الدولية والثنائية، وبدرجة ليست أقل، على سلوك الأفراد والمجتمعات. وبالرغم من ذلك، فإن التقدم المتحقق في هذا المجال ما يزال دون مستوى التحديات، حيث ما زالت البيئة تحظى بمكانة هامشية في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وما زال مفهوم التنمية المستدامة نظرياً للأغلبية العظمى من سكان العالم، وما زال الفقر من ناحية، والاستهلاك الجائر من الناحية الأخرى، يمثلان التوأم الأبرز في الضغط على البيئة الطبيعية للإنسان.

وبقدر تعلق الأمر بإقليم دول غرب آسيا، فإن أبرز المشكلات الإقليمية التي خلص إليها جيو-٣ هي مشكلة ندرة المياه العذبة وحمايتها، خصوصاً في شبه الجزيرة العربية. ويشكل كل من تدهور الأراضي والأمن الغذائي القضايا البيئية الرئيسية في الإقليم. إضافة إلى ذلك، فإن البيئة البحرية تعد من المناطق الأكثر عرضة لحوادث التلوث الذي قد ينتج عن تسرب النفط نتيجة لحركة الشحن التي تعد الأنشط عالمياً في هذا الإقليم. وكذلك فإن الدراسات تشير إلى أن إنتاج الفرد من النفايات الخطرة يعد من أعلى المعدلات في العالم. ومن القضايا المثيرة للقلق أيضا الانبعاثات الصادرة عن محطات توليد الطاقة وتحلية المياه والمنشآت الصناعية.

وفي إطار الجهود المبذولة للتحضير لإصدار تقرير توقعات البيئة العالمية جيو-٤ (المتوقع عام ٢٠٠٧)، قام مكتب **اليونيب** الإقليمي لغرب آسيا (ROWA) وقسم التقييم والإنذار المبكر (DEWA) بعقد اجتماع خبراء تشاوري في العاصمة البحرينية خلال شهر أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤ بهدف الأخذ بآراء صانعي السياسات، والمجتمعات العلمية، وأصحاب الأعمال، والمجتمع المدني، والمنظمات غير الحكومية، قبل الشروع في تحضير التقرير. ويغطي هذا الاجتماع إقليم غرب آسيا، وهو واحد من ستة أقاليم في العالم تعقد فيها مثل هذه الاجتماعات التي تهدف أساساً إلي الرقي بتقارير جيو من خلال الاعتماد على مساهمات الشركاء المعنيين في هذه الأقاليم. ومن أبرز الأهداف المحددة للاجتماع ما يأتي:

١- الاسترشاد بآراء الشركاء المعنيين حول كيفية تدعيم الجانب المتعلق بالسياسات البيئية لجيو-٤.
٢- تدعيم التفاعل بين العلم والسياسة من خلال التشاور مع المؤسسات الحكومية والشركاء المعنيين عامة.
٣- البحث عن استراتيجيات لتدعيم عمليات التقييم والاستصدار لتقرير جيو-٤.
٤- استدراج مساهمات لتطوير المفهوم العام ومجال العمل والطرق التحليلية المتبعة في عملية الإعداد.
٥- تحديد المؤسسات والأشخاص الذين يمكنهم المساهمة في إعداد التقرير.
٦- تقديم المشورة **لليونيب** حول آليات تدعيم القاعدة العلمية لعملها.
٧- مساعدة **اليونيب** في تحديد سلم أولويات القضايا البيئية في الإقليم.

ناقش المشاركون في الاجتماع التشاوري عدة قضايا اتسمت بالموضوعية والتركيز على القضايا الأكثر حيوية لإبرازها في جيو-٤، والعمل على الاستفادة من الخبرة المكتسبة من التقارير السابقة منذ جيو-١ عام ١٩٩٧، حيث عملت هذه التقارير على جسر الهوة بين العلم والسياسة، واستقراء محايد للتطورات والتغيرات واتجاهاتها المستقبلية على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية. وإضافة إلى ذلك، فإن المفهوم

العام لتقارير جيو يتجه نحو معالجة تكاملية من حيث النواحي الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، مما يجعلها قابلة للتطبيق عالمياً، وعلى صلة بالسياسات، وذات مصداقية علمية. وبالرغم من ذلك، فهنالك إجماع على ضرورة تقوية القاعدة العلمية لليونيب من خلال تحسين مقدرتها على مراقبة التغيرات في البيئة العالمية وتقييمها بما يعزز عمليات الإنذار المبكر لما يستجد من قضايا بيئية ذات بعد عالمي واسع.

في حين أعرب الخبراء المجتمعون عن ارتياحهم للعملية التشاورية المتبعة في إعداد تقارير جيو، إلا أنهم في الوقت نفسه عبروا عن آرائهم حول ضعف استخدام هذه التقارير من قبل دول الإقليم في صنع السياسات ذات العلاقة، وعزوا ذلك بشكل رئيسي إلى التركيبة المؤسسية في بلدان الإقليم، بالإضافة إلى ضعف الترويج للتعريف بهذه التقارير، والاعتقاد السائد أن المواضيع المعالجة في هذه التقارير هي ذات صفة عالمية وليست إقليمية بشكل كاف، علاوة على أن هنالك حاجة إلى أن تكون هذه المشاورات على مستوى القاعدة، وليس على مستوى القمة فقط. كذلك فقد أعرب المجتمعون عن حاجة ملحة لاستصدار تقارير إقليمية حصرية على غرار تقارير جيو، ولبذل المزيد من الجهود لتضييق الفجوة بين العلم والسياسة، ولأن يكون تقرير جيو-٤ ذا اتجاه عملي يربط بين الأفكار والأعمال.

اعتبر الخبراء المجتمعون قضايا ندرة المياه، والأمن والسلام، والحاكمية الرشيدة، والعولمة، وكلاً من الإنتاج والاستهلاك المستدام، أبرز القضايا التي تواجه إقليم غرب آسيا. ولعل القضية المستجدة والأبرز التي حظيت بالتركيز الأكبر في هذا الاجتماع هي قضية الأمن والسلام وآثارها على حياة سكان الإقليم. وتبقى قضية ندرة المياه القضية الأكثر تداخلاً ودون حل لغاية الآن في إقليم غرب آسيا.

خلص الاجتماع إلى مجموعة من التوصيات المتعلقة بتقرير جيو-٤. وكان أهمها ضرورة أن يكون التقرير ذا طبيعة عملية، وضرورة العمل على زيادة ملكيته، وإشراك وسائل الإعلام في الترويج له، والتركيز على تعزيز مصداقية البيانات فيه من خلال انتهاج أسلوب التشاركية مع المعاهد العلمية في الإقليم. كذلك أجمع الخبراء المجتمعون على ضرورة رفع الجاهزية والكفاءة في مجال جمع البيانات المطلوبة لجيو-٤، وأوصوا بإضافة سيناريو متفائل وآخر يأخذ بالحسبان آخر التطورات في دول الإقليم.

بقي أن نذكر أن اللغة الرسمية للاجتماع وجميع الأوراق المقدمة كانت الإنكليزية، على الرغم من أن الغالبية العظمى للدول المشاركة هي عربية. وهنا لا بد من طرح عدة أسئلة ليس أقلها: لماذا لا يستعمل العرب لغتهم في مثل هذه الاجتماعات؟ وحيث أننا نتحدث عن أهمية مبدأ التشاركية في إعداد تقارير جيو، الأمر الذي يتطلب الأخذ بأكبر عدد ممكن من آراء المؤسسات والمعاهد ومراكز الأبحاث ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد، فإن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة هو: كيف سيتم عمل ذلك؟ وهل سيقتصر ذلك على أولئك الذين لديهم إلمام باللغة الإنكليزية فقط؟ والمفارقة هنا أن بعض الخبراء في الحلقة التشاورية ذكروا أن النسخة العربية من تقارير جيو السابقة كانت دون مستوى النسخة الإنكليزية. ولذلك نتمنى أن يتم إعداد التقارير الوطنية والإقليمية، على الأقل، باللغة العربية، ومن ثم ترجمتها للإنكليزية، حيث أن من شأن ذلك تعظيم المشاركة المؤسسية والمجتمعية، مما يلبي إحدى المتطلبات الرئيسية لمبدأ التشاركية في إعداد تقرير جيو-٤. ■



الحوار العربيّ الصّينيّ الثّالث

عقد منتدى الفكر العربيّ، بالتعاون مع معهد الصّين للدّراسات الدّوليّة، الحوار العربيّ الصينيّ الثّالث يومي ٢٩ و ٣٠ تشرين الثّاني/نوفمبر ٢٠٠٤، في فندق مريديان عمّان، تحت رعاية صاحب السموّ الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم، رئيس المنتدى وراعيه. وكان الحوار العربي الصيني الثّاني قد عقد في بيجين من ٢٥ – ٣٠ أيار/مايو ٢٠٠٢ بعنوان «آفاق العلاقات العربية الصينية في القرن الحادي والعشرين». أما الحوار الأوّل فقد استضافه المنتدى في عمّان من ١٨–١٩ تشرين الأوّل/أكتوبر ١٩٨٦.

برنامج
الحوار العربيّ الصّينيّ الثّالث

الإثنين: ٢٠٠٤/١١/٢٩

٩:٣٠ – ١٠:٠٠ **الجلسة الافتتاحية**
كلمة سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه، يلقيها
أ. وسام الزّهاوي، أمين عام المنتدى
كلمة الأمانة العامّة لجامعة الدول العربيّة:
أ.د. ثامر العاني، مندوب الأمين العام، أ. عمرو موسى

١٠:٠٠ – ١٠:٣٠ **كلمة رئيسيّة:** استراتيجيّة الصّين للتّنمية وسياساتها الخارجيّة
السفير ما تشنقانغ

١٠:٣٠ – ١١:٠٠ استراحة

١١:٠٠ – ١٣:٣٠ الجلسة الأولى: العلاقات الاقتصادية

رئيس الجلسة: د. علي عتيقة

١١:٠٠ – ١١:٣٠ **الورقة العربيّة الأولى:** العلاقات الاقتصاديّة والتّجاريّة العربيّة الصّينيّة وآفاقها: التّحدّيات في مجال الطّاقة والنّفط العربيّ
د. هشام الخطيب

١١:٣٠ – ١٢:٠٠ **الورقة الصّينيّة الأولى:** علاقات الصّين الاقتصاديّة والتّجاريّة مع دول الشرق الأوسط
أ. د. يانغ قوانغ

١٢:٠٠ – ١٣:٣٠ **مناقشة**

١٤:٠٠ – ١٦:٣٠ غداء [تقيمه جامعة الأميرة سميّة للتّكنولوجيا في مطعم الجامعة]

١٦:٣٠ – ١٩:٣٠ الجلسة الثّانية: العلاقات السّياسيّة

رئيس الجلسة: السّفير ما تشنقانغ

١٦:٣٠ – ١٧:٠٠ **الورقة الصّينيّة الثّانية:** القراءة الصّحيحة للأوضاع وتعزيز التّعاون وتحقيق التّنمية المشتركة
السفير آن هويخو

١٧:٠٠ – ١٧:٣٠ **الورقة العربيّة الثّانية:** المتغيّرات الجيواستراتيجيّة والسّياسيّة الإقليميّة والدّوليّة
م. فخري أبو شقرة

١٧:٣٠ – ١٨:٠٠ استراحة

١٨:٠٠ – ١٩:٣٠ **مناقشة**

١٨:٠٠ – ١٨:١٥ السّفير ليو باو لاي

٢١:٠٠ عشاء [يقيمه المجلس الأعلى للعلوم والتّكنولوجيا في مطعم شهرزاد/فندق كراون بلازا عمرة، عمّان]

الثّلاثاء: ٢٠٠٤/١١/٣٠

١٠:٠٠ – ١٢:٣٠ الجلسة الثّالثة: مائدة مستديرة

رئيسا الجلسة: أ. محسن العيني والسفير آن هويخو

١٠:٠٠ – ١١:٠٠ **المتحدّثون:**
د. يوسف الحسن
أ. د. تشاو وي مينغ
أ. د. ثامر العاني
أ.د. دة. لي رونغ

١١:٠٠ – ١١:٣٠ استراحة

١١:٣٠ – ١٣:٠٠ **مناقشة**

١٣:٣٠ – ١٥:٠٠ غداء [يقيمه صاحب السمو الملكيّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس **منتدى الفكر العربيّ** وراعيه في فندق ميريديان عمّان]

١٦:٠٠ – ١٧:٠٠ الجلسة الختاميّة

رئيس الجلسة: صاحب السموّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال

٢٠:٠٠ عشاء [يقيمه سعادة السفير لو شينغ وو، سفير فوق العادة ومفوّض لجمهوريّة الصين الشعبيّة لدى الأردنّ، في منزله]

في العدد القادم: محور خاصّ عن هذا الحوار

مفكّرة المنتدى

١٦ كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٤

مائدة مستديرة

بين مجلس أمناء المنتدى واللّجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربيّ آسيا (الإسكوا)

«الفكر العربيّ في سياقٍ إقليميّ»

⊕

الاجتماع السّادس والعشرون

لمجلس أمناء منتدى الفكر العربيّ

مقر الإسكوا – بيروت

(؟) شباط/فبراير ٢٠٠٥ *

الاجتماع السّابع عشر للهيئة العموميّة لمنتدى الفكر العربيّ

والندوة الفكريّة السنويّة بعنوان

«الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق»

المنامة – البحرين

* سيحدد الموعد الدقيق في أقرب وقت.

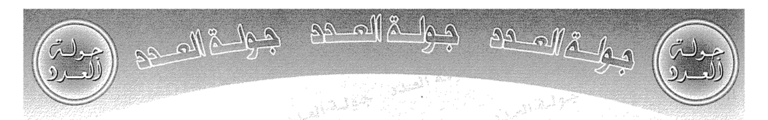
توقيع اتفاقيّتي تعاون مع منظّمتين باكستانيّتين

وقّع منتدى الفكر العربيّ في شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤ اتفاقيّتين عامّتين للتعاون مع منظّمتين بارزتين في العاصمة الباكستانيّة إسلامَ باد.

تهدف هاتان الاتفاقيتان إلى تبادل الخبرات والموارد البشرية والمطبوعات بين الجانبين.

من جانب المنتدى: وقع كلتا الاتفاقيّتين الأستاذ وسام الزّهاوي، الأمين العام. أما من الجانب الباكستاني فقد وقّع الدكتور بيرفيز إقبال تشيما Dr. Pervaiz Iqbal Cheema ، رئيس معهد إسلامَ باد لبحوث السياسات Islamabad Policy Research Institute (IPRI) ، بالنيابة عن المعهد؛ والدكتورة شيرين مزاري Dr. Shireen M. Mazari، المديرة العامّة لمعهد الدراسات الاستراتيجيّة للباكستان Institute of Strategic Studies of Pakistan(ISSI) ، بالنيابة عن ذلك المعهد.





اجتماع لجنة الإدارة رقم (٢٠٠٤/٤)

عمّان؛ الخميس ٢٠٠٤/١٠/١٤

اجتمعت لجنة إدارة المنتدى في مقرّه بعمّان، في تمام الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الخميس الموافق ٢٠٠٤/١٠/١٤، بحضور كل من رئيس اللجنة الدكتور هشام الخطيب وأعضائها: د. علي عتيقة، وأ. ليلى شرف، ود. عدنان السيد حسين، وأ. وسام الزهاوي (الأمين العام). كما حضر من الأمانة العامّة: د. هُمام غَصِيب (مدير إدارة الدراسات والبرامج)، والسيد أحمد الخطيب (مدير الشؤون الإدارية والمالية).

وقد ناقشت اللجنة الأمور الآتية:

١ – إقرار محضر الاجتماع السابق المنعقد بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٥.

٢ – تقرير الأمين العام لعام ٢٠٠٣.

٣ – الأنشطة الفكرية:

أ – الحوار العربيّ الصينيّ الثّالث.

ب – الاجتماع السادس والعشرون لمجلس الأمناء/ مقرّ الإسكوا، بيروت؛ يوم الخميس ٢٠٠٤/١٢/١٦.

ج – مشروع ندوة محدودة في عمّان حول اللاجئين والمهاجرين والمهجّرين، بالتعاون مع جمعية التنمية الدوليّة/هولندا.

٤ – توقيع اتّفاقيّتين بين المنتدى وكلّ من معهد بحوث السّياسات/إسلام باد، ومعهد الدّراسات الاستراتيجية/ إسلام باد.

٥ – إصدارات المنتدى الجديدة.

٦ – الموقف المالي:

– البيانات المالية للفترة ١/١–٢٠٠٤/٩/٣٠، وإعادة التقدير للفترة ١٠/١–٢٠٠٤/١٢/٣١.

٧ – مذكّرة حول الأعضاء العاملين غير المسدّدين لالتزاماتهم الماليّة لمدة ثلاث سنوات فأكثر.

٨ – المرشّحون للعضويّة العاملة.

٩ – ما يستجدّ من أعمال.

انتخاب الدكتور عدنان السيّد حسين

عضواً في اللجنة التنفيذية للجمعية العربية للعلوم السياسيّة

انتخبت الجمعيّة العربيّة للعلوم السياسيّة، في مؤتمرها العام السادس المنعقد في بيروت يومَيْ ٢ و ٣ كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٤، لجنة تنفيذيّة جديدة ضمّت في عضويتها الدكتور عدنان السيد حسين، عضو مجلس أمناء المنتدى وأستاذ الدراسات العليا في كلية الحقوق والعلوم السياسيّة والادارية في الجامعة اللبنانية.

أكد في ندوة سياسيّة وفكريّة في فيينا أن الاستسلام لمقولة «صراع الحضارات» سيؤدي إلى تحققها

الأمير الحسن بن طلال لـ «الحياة» : خطة شارون للانسحاب من غزة خديعة تستهدف عمليّة السّلام *

في ندوة عقدت مساء أول من أمس في منتدى برونوكرايسكي للحوار الدولي في العاصمة النمساوية فيينا وحملت عنوان «عولمة الإرهاب وصراع الحضارات»، أعرب الأمير الحسن بن طلال عن خيبة أمله من المسار الذي تتخذه الأحداث في الشرق الأوسط. وقال الأمير الحسن: إنه في الوقت الذي تشهد فكرة حوار الحضارات انكماشاً لمصلحة بروز سياسات التصادم، تعيش منطقة الشرق الأوسط اليوم وضعاً غير طبيعي يتجسد خلاله شبح الصراع الحضاري بكل صوره.

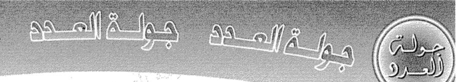
ولاحظ أنه بعد مرور خمسة أعوام على اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، ما زال المجتمع الإسرائيلي يفضل بغالبيته الاستمرار في التعامل مع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وفق منطق القوة العسكرية.

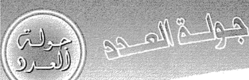
وعبّر الأمير الحسن في معرض حديثه عن تشكّكه بخطة الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزّة، مشيراً إلى أنها تأتي لعرقلة الوصول إلى دولة فلسطينية مستقلة؛ «إذ إن تكثيف عمليات الاستيطان في الضفة الغربية، خاصة حول مدينة القدس، هي الوجه الآخر لخطة الانسحاب هذه».

وفي الشأن العراقي قال الأمير الحسن: إنّه في ظلّ الفوضى الحالية السائدة في العراق، يجب على الأطراف الإقليميّة والدوليّة التي ستشارك في المؤتمر الدولي حول العراق، المقرر عقده الشهر المقبل في القاهرة، التعامل بصدق وواقعيّة مع فكرة عراق جديد موحّد ومستقل، وأن تضع ثقلها في هذا الاتجاه لطمأنة العراقيين.

وفي ردّه على سؤال لـ **الحياة** حول ما إذا كانت نظرته الحالية لمجريات الأمور في الشرق الأوسط على صعيد العلاقة الراهنة بين الثقافات المختلفة ستؤدي إلى اضمحلال الجهود الرامية إلى خلق تعايش سلمي راسخ بين مختلف الحضارات، قال الأمير الحسن : «إن الاستسلام للطرح الذي عبر عنه المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتن «صراع الحضارات» هو أمر خاطىء تماماً وسيقود، إن تحقق، إلى إعطاء صدقيّة له على أرض الواقع». وأضاف: «هنالك حضارة عالمية واحدة استفادت بشكل كبير من الحضارة والثقافة الشرقيّة في منطقة الهلال الخصيب، مهد الحضارات في العالم. والمشكلة هي أن سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ تسبب في البحث عن خصم جديد؛ مما وضع العالم العربيّ والإسلاميّ في بؤرة الاهتمام، لا سيما أن المنطقة الواقعة ما بين البحر الأبيض المتوسط والصحراء الغربيّة هي بقعة على خريطة العالم كثيراً ما تهافتت عليها الدول لإخضاعها والاستفادة من مواردها». ■

* **الحياة**؛ الجمعة ١٥ تشرين الأوّل / أكتوبر ٢٠٠٤ [بتصرّف قليل].





مراســـــلات

إلى صاحب السموّ الملكي الأمير الحسن بن طلال
منتدى الفكر العربي

تحية وسلاما:

أما بعد، فقد قررت مجموعة من الأساتذة الباحثين، ينتمون إلى حقول معرفية متنوعة وإلى مؤسسات جامعية مختلفة، إنشاء دورية علمية متخصصة محكمة تشمل ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وقد أتت هذه الخطوة في سياق الرغبة التي تحدو هؤلاء الأساتذة وآخرين على تشجيع الأساتذة الباحثين وتحفيزهم على الانخراط في منابر علمية رصينة محكمة منظمة، وقائمة على مبدأ التأطير العلمي المتحرر من القيود الإدارية العقيمة، على نحو يمكنّهم من إخراج أفكارهم ومشاريعهم العلمية إلى العلن وعدم تركها حبيسة مكتباتهم الخاصة.

وحرصاً من أصحاب هذه المبادرة على أن تكون هذه المجلة من النمط المحكم المشهود له بالقيمة العلمية الرفيعة وطنياً ودولياً، فقد وقع الإجماع بينهم على أن يكون من بين الهياكل المسؤولة مباشرة عن القيمة العلمية للأعمال والدراسات المنشورة فيها هيئة علمية استشارية عليا، تجمع بين العمل بمقتضيات التحكيم العلمي كما هو متعارف عليه دولياً، وبين متطلبات التأطير العلمي للأعمال والدراسات.

وتندرج المبادرة كذلك في إطار ربط القراء بأحدث التيارات الفكرية والثقافية والفلسفيّة المعاصرة، من خلال تزويدهم بمواد أكاديميّة جيدة تغطي جميع فروع المعرفة: اللغويات، والأدب، والنقد المقارن، والدراسات الفكريّة والفلسفيّة، والاجتماع، والتاريخ، والجغرافيا، والتربية، وعلم النفس، والفنون، والتراث، والأنثروبولوجيا، والآثار... .

وفي هذا الشأن فإن المجلة تهتم بالمجالات العلمية والمحاور المبيّنة فيما يأتي تأليفاً وترجمة:

١ – الدراسات الأدبيّة واللغوية: الأدب واللغة العربيين، والآداب العالمية، وعلم اللغة.

٢ – الدراسات الإنسانيّة: الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وعلم النفس، والجغرافيا، والتخطيط، والدراسات الاستراتيجية، والمستقبليات... .

مراسـلات

٣ – الدراسات التربويّة.

٤ – الدراسات الفنيّة: علم الجمال، وفلسفة الفن، والمسرح، والموسيقى، والفنون التشكيلية.

٥ – الدراسات العلمية: تاريخ العلم، وفلسفة العلم، وتبسيط العلوم البحتة: الفيزياء، والكيمياء، وعلوم الصحة، وعلم الحياة، والفلك، والرياضيات النظرية والتطبيقية، والعلوم التكنولوجية.

٦ – ترجمة وقراءة ومراجعة لكتب ألفت في المجالات المذكورة أعلاه.

٧ – متابعات علمية لمؤتمرات وندوات ونشاطات أكاديمية متصلة بحقول اختصاصها.

٨ – ملخصات لرسائل جامعية تمت مناقشتها وإجازتها في حقول معرفية إنسانية واجتماعية.

صاحب السموّ:

لقد سميت المجلة : «اللغة والمجتمع»، وعهدت إدارتها إلى الأستاذ محمد درويش، أستاذ اللغويات بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالقنيطرة. أما هيئة التحرير فتتكوّن من مجموعة من الأساتذة الباحثين من تخصصات مختلفة لها ارتباط بالعلوم الإنسانية والاجتماعية. وأما الهيئة العلمية للمجلة فلائحتها غير مغلقة، وتضم دكاترة من مؤسسات جامعية متعددة يشتغلون بحقول معرفية مختلفة تشمل كل المجالات المذكورة أعلاه، ومشهود لهم بمستوى علمي رفيع في مجالات بحثهم.

لكل ما سبق نرجو من سموّكم التفضل بدعم هذه المبادرة بما ترونه مناسباً للدعم، كما نرجو أن تعملوا على إخبار السادة والسيدات الأساتذة التابعين لمؤسستكم الموقّرة. ولنا اليقين، بما نعرفه عن شخصكم الكريم من خصال دعم الثقافة والمثقفين، أنكم لن تبخلوا على دعم المبادرة.

وفي الختام، نأمل أن تحوز المبادرة على تقديركم، ويسعدنا أن نتلقى دعمكم وآراءكم وانطباعاتكم واقتراحاتكم.

وتفضلوا بقبول خالص التحية وفائق التقدير

محمد الدرويش

مدير مجلّة **اللغة والمجتمع***

الرباط في ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤

[بتصرّف طفيف]

* ص. ب ٩٠٠٧ المحيط الرباط – المغرب، هاتف: ٦١٣٦٨٨٦٦-٢١٢، فاكس: ٦٥٢١٦٤-٣٧-٢١٢
العنوان الإلكتروني: revue_langueetsociété@hotmail.com





تنعى أسرة **منتدى الفكر العربي** بمزيد من الحزن والأسى

فقيد الأمّة العربيّة ودولة الإمارات العربيّة المتحدة

سمو الشيخ

زايد بن سلطان آل نهيّان

(زايد الخيْر)

وتتقدم من الشعب الإماراتيّ الغالي بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سائلةً المولي العليّ القدير أن يتغمد سموه بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.

إنّا لله وإنا إليه راجعون



تنعى أسرة **منتدى الفكر العربي** بمزيد من الحزن والأسى

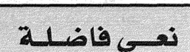
فقيد الأمّة العربيّة والشعب العربي الفلسطيني

الرئيس

ياسر عرفات (أبو عمّار)

وتتقدم من الشعب الفلسطيني الغالي بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سائلةً المولى العليّ القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.

إنّا لله وإنا إليه راجعون



نعـــي فاضـلـة

تنعى أسرة **منتدى الفكر العربيّ** بمزيد من الحزن والأسى عضو المنتدى

الدكـــتورة ميرفت بدوي

وتتقدم من عائلتها وعموم آل بدوي الكرام بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سائلة المولى أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويسكنها فسيح جنّاته.

إنّا لله وإنا إليه راجعون

كُتّاب هذا العدد

د. عصام ملكاوي
مستشار/ عضو جمعية الشؤون الدولية
خلوي : ٠٧٧٤١١٩١٩
هاتف : ٤٦٤٢٧٠٦ (٦-٩٦٢+)
فاكس: ٤٦١٥٦٠٧ (٦-٩٦٢+)

د. عدنان السيد حسين
أستاذ الدراسات العليا في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية
الجامعة اللبنانية؛ بيروت
عضو مجلس الأمناء في المنتدى
هاتف : ٣٥٣٠٥١ (١-٩٦١+)
فاكس : ٣٥٣٠٥٢ (١-٩٦١+)
بيروت – لبنان

المحامي سفيان الشوّا
مستشار قانوني
هاتف : ٥٥٢٩٩١٠ (٦-٩٦٢+)
فاكس : ٥٥٢٩٩١٠ (٦-٩٦٢+)
E-mail: *sufianshawa@hotmail.com*

أ. فالح الطويل
عضو مجلس الأعيان
كاتب ومحلل سياسي
هاتف : ٤٦٤٢٧٠٦ (٦-٩٦٢+)
فاكس: ٤٦١٥٦٠٧ (٦-٩٦٢+)
E-mail: *wacjo@link.net.jo*

د. محمد صيدم
مدير الوحدة المركزية للرصد والبحث البيئي في الجمعية العلمية الملكية
ص ب ١٤٣٨
عمّان ١١٩٤١ الاردن
هاتف : ٥٣٤٤٧٠١ (٦-٩٦٢+)
فاكس: ٥٣٤٤٨٠٦ (٦-٩٦٢+)

مجلة **الديمقراطية** هي دورية سياسية متخصصة تُعنى بدراسة النظم السياسيّة المختلفة. ويقع مجال اهتمامها الرئيسي فيما يعرف في دراسات العلوم السياسيّة بحقل **السياسات المقارنة Comparative Politics**. وتهتم بدراسة أنواع النظم في العالم وأنماطها وتطوراتها السياسيّة؛ كما تهتم بقضايا من نوع: التحول الديمقراطي، والثقافة السياسيّة، والنظم الحزبية، والانتخابات، والسياسات العامّة، ودراسات الرأي العام، وقضايا حقوق الإنسان، وغيرها مما يتعلق بتطور الأوضاع الداخليّة في النظم والمجتمعات المختلفة في أمريكا، وأوروبا، وآسيا، وإفريقيا، والعالم العربيّ والإسلامي، ومصر. فهي تقوم برصد التطورات في هذه المجالات، إلى جانب السعي لتقديم رؤية مقارنة عنها.

الأهرام
مجلة
الديموقراطية ١٦
فصلية متخصصة تعنى بالقضايا المعاصرة للديموقراطية ٢٠٠٤

ليس وداعا للطبقة الوسطى [الافتتاحية]
الطبقة الوسطى بين الحصار و إعادة الاعتبار [ملف العدد]
تأميم الطبقة الوسطى و سقوط العصر الليبرالى
أين ذهبت الطبقة الوسطى فى الحالة العربية
يوم فى حياة أسرة مصرية
العدل التربوى فى التعليم المصرى
الدليل إلى ثقافة احترام القانون
ديموقراطية السودان بين النجاح و الإخفاق

السنة الرابعة - العدد ١٦
(تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤)

المحتويات

- الافتتاحية.
- دراسات.
- ملف العدد:
  (الطبقة الوسطى بين الحصار وإعادة الاعتبار)
- رؤى.
- انتخابات.
- ثقافة ديمقراطية.
- حالة الديمقراطية.
- عروض كتب.

تصدر عن:

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - مصر

رئيس التحرير: دة. هالة مصطفى

منتدى الفكر العربي

٢٠٠٤

الندوات والمؤتمرات

١

الشباب العربيّ وتحدّيات المستقبل
بالتعاون مع الصندوق العربي للإنماء الإقتصاديّ والإجتماعيّ/الكويت
عمّان؛ ٥ - ٦ نيسان /إبريل ٢٠٠٤

٢

أوروبا والمنطقة العربيّة: علاقة جديدة؟!
بالتعاون مع منتدى برونو كرايسكي - ڤيينا
البتراء؛ ٢ - ٣ تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠٠٤

٣

الحوار العربيّ الصينيّ الثّالث
بالتعاون مع معهد الصّين للدّراسات الدّوليّة
عمّان؛ ٢٩ - ٣٠ تشرين الثّاني /نوفمبر ٢٠٠٤

٤

مائدة مستديرة «الفكر العربيّ في سياق إقليميّ»
بالتعاون مع اللّجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربيّ آسيا (الإسكوا)
+ اجتماع مجلس أمناء المنتدى
بيروت؛ ١٦ كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٤

اجتماعات لجنة الادارة

- ❖ يوم الأحد الموافق ٢٠٠٤/٠٣/٢١
- ❖ يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٤/٠٤/١٩
- ❖ يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٤/٠٧/٥
- ❖ يوم الخميس الموافق ٢٠٠٤/١٠/١٤

تعيينات جديدة في الأمانة العامة للمنتدى

السيدة رويدة الشّرع الخطيب

مسؤولة موْقع المنتدى على الإنترنت

سلسلة اللقاءات الشهرية

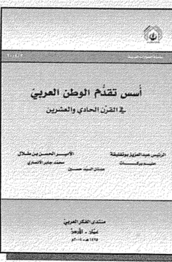
رقم اللقاء	تاريخ اللقاء	الموضوع	اسم المحاضر
الأول	٢٠٠٤/١/٢٠	حقوق الملكية الفكرية في الاتفاقات الثنائية والمتعدّدة الأطراف وأثرها على قطاع الأدوية في الأردنّ	د. حامد كامل السعيد
الثاني	٢٠٠٤/٢/١٨	الاتّحاد الأوروبيّ بين الواقع والتحدّيات	د. أحمد سعيد نوفل
الثالث	٢٠٠٤/٢/٢٩	ندوة فكريّة خاصّة حول المرحوم الدّكتور أحمد صدقي الدّجاني	أ. أحمد السّعدي؛ أ. توفيق أبو بكر د. علي عتيقة؛ أ.د. علي محافظة
الرابع	٢٠٠٤/٣/٢٩	الشّباب طاقة	د. سري ناصر
الخامس	٢٠٠٤/٥/١٢	العلمانيّة في العالم العربيّ	أ.د. شتيفان فيلد؛ د. برنار روجيه؛ أ.د. طيّب تيزيني
السادس	٢٠٠٤/٥/١٩	لقاء خاصّ مع وفد صينيّ زائر/ معهد شنغهاي للدّراسات الدولية (SIIS)	[باللّغة الانجليزيّة]
السابع	٢٠٠٤/٥/٢٦	تكنولوجيا الأداء البشري: حركة جديدة في [علم] الإدارة	د. عبد الباري درّة
الثامن	٢٠٠٤/٧/٧	Building A Silk Road of Understanding: A Proposal to link The East and The Middle East	دة. يون - جوو لي [باللّغة الانجليزيّة]
التاسع	٢٠٠٤/٧/٢٧	لقاء مفتوح مع سعادة الدكتور محمد حجازي	
العاشر	٢٠٠٤/٩/٢٢	**محاضرة سامي هداوي التّذكاريّة** المسيحيون الفلسطينيون والعرب: التحدّيات المستقبلية	د. برنارد سابيلا
الحادي عشر	٢٠٠٤/٩/٢٨	هيئة الأمم والعراق وبناء السّلام The United Nations, Iraq and Peace-Building	د. رامش ثاكور [باللّغة الانجليزيّة]
الثاني عشر	٢٠٠٤/١٢/١٢	نظرة في المياه: النافع والمخاطر	د. منذر حدّادين

المطبوعات



٢٠٠٤/١

أسس تقدّم الوطن العربيّ في القرن الحادي والعشرين



يحتوي هذا الكتاب على مداولات ندوة منتدى الفكر العربيّ التي عُقدت في عمّان بتاريخ ٨ - ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣. وقد استعرض المشاركون في الندوة حالة الأمّة العربيّة الراهنة وأسباب تخلّفها، واستشرفوا بعض العوامل والأسس التي تؤدّي إلى تقدُّمها.
تخلّلت هذه النّدوة حلقة نقاشيّة عن «القدس في الضّمير».

٣ ٢٠٠٤/٣

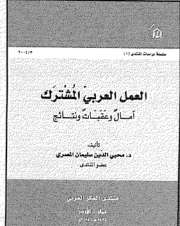
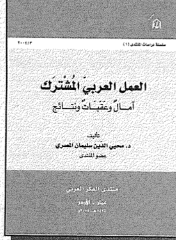
العمل العربيّ المشترك

آمال وعقبات ونتائج

(قيد الطبع)

تاريخ سياسيّ ومؤسساتي
فترة تونس ١٩٧٩-١٩٩٩

تهدف هذه الدراسة، وهي باكورة **سلسلة دراسات المنتدى**، إلى سدّ النقص الذي يعتري الدراسات والبحوث المنشورة عن العمل العربيّ المشترك، خصوصاً من حيث العَلاقة بين الجامعة العربيّة ومنظماتها في إطار شمولي.

٢ ٢٠٠٤/٢

سلسلة اللقاءات الشهرية لمنتدى الفكر العربيّ

يَحتوي هذا المجلّدُ - الأوّلُ في هذه السّلسلة - على عشرة لقاءات تتحدّث عن نفسها بنفسها؛ فالمكتوب من عنوانه. وكلُّها نصوصٌ كاملة، باستثناء اللقّاء الثّامن الذي نكتفي هنا بنشر ملخّص موسّع له فقط، بناءً على طَلَبٍ من الأُستاذ المُحاضر.

٤ ٢٠٠٤/٤

الشّباب العربيّ وتحدّيات المستقبَل

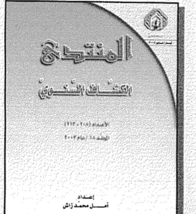
(قيد الطبع)

وقائع المؤتمر الذي عقده منتدى الفكر العربيّ، بالتعاون مع الصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والإجتماعي/الكويت، في عمان؛ ٥-٦ نيسان/ابريل ٢٠٠٤.



المنتدى : الكشاف السنوي

الأعداد (٢٠٨ - ٢١٣)/٢٠٠٣
إعداد : أمل محمد زاش





في العـــدد القـــادم

[مقالـــة مترجمـة]

«المبادىء الخمسة للتعايش السلمي والعَلاقـــات الدوليّـــة الحديثـة»

آغـا شـاهي

رئيس معهد الدّراسات الاستراتيجية، إسلامَ باد

محـور خـاصّ: لقـاءات شهـريّـة

(اللقاء رقم ٥/٢٠٠٤)

العَلمانيّـــة في العـالم العـربي

أ.د. شتيفان فيلد؛ د. برنار روجيه؛ أ.د. طيّب تيزيني

(اللقاء رقم ١١/٢٠٠٤)

هيئة الأمم والعراق وبناء السلام

[باللّغة الإنجليزيّة]

د. رامـش ثاكـور

(اللقاء رقم ١٢/٢٠٠٤)

نظرة في المياه : المنافع والمخاطر

د. منذر حدادين

المنتـــــدى

محتويات المجلّـد التاسع عشر ٢٠٠٤

تقارير:

مقــــــالات

اللقـــاءات الشهريـــة

محـــــاضـــرات

حــــــــــــوارات

جولــــة العــــدد:

قبيــل الطباعـــــة :

بيـــان صحــافـي:

من مكتبة المنتدى:

كلمة أخيرة :

من دون تفاصيل

د. عصام ملكاوي*

لو أن أحد الباحثين أعدّ دراسة عن الإسراف الذي يمارسه معظمنا في الكلام، وما يترتب عليه من تكاليف باهظة في الوقت والجهد، وما ينشأ عنه من مشكلات، لتوصّل إلى نتائج مذهلة، ولخرج بقناعة أكيدة أن معظم الإشكالات التي تواجهنا في العمل وفي الحياة الاجتماعية إنما تنشأ عن الإفراط في الخوض في تفاصيل تؤخر ولا تقدم، وتأخذ المستمع إلى دهاليز وحيثيات لا ناقة له فيها ولا جمل، ولا يهتمّ بها ولا يجب أن يعرفها.

أصل المشكلة أنّ كلّ واحد يرى دائماً أفعاله وأقواله مبررة ومعقولة، وأن كلّ كلمة يقولها لها معنى ومدلول لا يجوز حذفه من السياق، وأنه كلما أفاض في التفاصيل زاد المعنى وضوحاً وقدم الصورة بحذافيرها. ولو أنك استوقفته وألمحت له أن ما يمارسه ليس إلاّ نوعاً من الثرثرة والإسفاف، لبدت عليه علامات الصدمة واتهمك بأنك متعجرف ثقيل الظلّ. ولو تحدثت مع أحدهم على الهاتف ومارست الاقتصاد في الكلام، لامتلأت نفسه عليك بالعتب وظنّ أنك تتّخذ منه موقفاً مجافياً، مع أنه لم يبخل عليك يوماً بالمكالمات الطويلة والتفاصيل المملّة، ولم يقصّر في تحويل كل الرسائل التي يستقبلها هاتفه الخلويّ، الذي لا يهدأ، إلى هاتفك المعزول لتكون دائماً على إطلاع على آخر ما توصّل إليه الثرثارون من صياغات وتعابير.

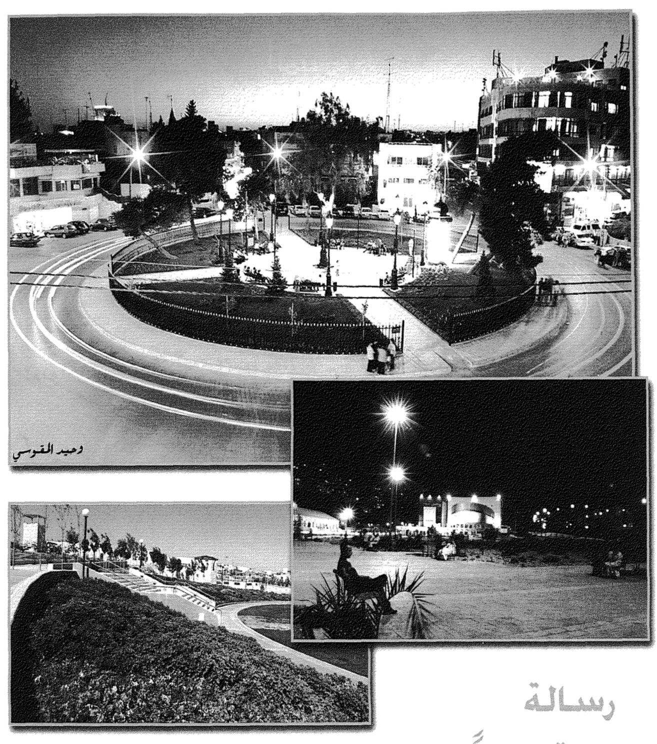
لا أريد أن أسترسل في استعراض جوانب هذه الظاهرة وانتشارها في البيت والعمل وبين الموظفين والأصدقاء، وتأثيرها في خلط الأوراق وإثارة الخلافات وضياع الحقائق. لكنني على قناعة بأنها آخذة في التفاقم إلى الحد الذي يستعصي على العلاج بسبب الدوافع النفسية والاجتماعية أولاً، ثم الوسائل التكنولوجية التي وفرت وتوفر المزيد من قنوات الاتصال والثرثرة والدردشة بأقل التكاليف، مما يقلل من فاعلية كل الدروس والنصائح والحكم التي تتحدث عن فضيلة الصمت ومهارة الاختصار والاختزال. فمن منا لا يعرف أن خير الكلام ما قلّ ودل؟ ومن منّا لم يسمع بالحكمة الشهيرة «من كثر كلامه كثر خطأه»؟ وما الفائدة أن نتذكر قول زياد بن أبيه: «إذا طال الكلام فإن آخره يُنسي أوّله».

لعلّ الذي ينفع أن نتذكّر كيف أدّب الله تعالى أصحاب النبيّ عليه السلام عند الحديث معه، وذكّرهم بأن عليهم أن يدفعوا ضريبة أو صدقة إن استطاعوا: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإنّ الله غفور رحيم﴾. ولعله ليس من قبيل المصادفة أن تكون هذه الآية في سورة اسمها المجادلة.

ولعلّه من المفيد أن نحاول التخلّص من الحمولة الزائدة من فضول الكلام، وأن نتدرّب على ذلك تحت شعار «من دون تفاصيل».

---

* عضو المنتدى.



رسالة خاصة جداً من عمان

.. أخي المواطن ..أختي المواطنة

لكل منا رئة يتنفس من خلالها ..فلا تبخل على عاصمتك بما يساعدها على إمدادك بالهواء النقي ..لا تلقي بنفاياتك في شوارعي من منزلك أو عبر شباك سيارتك ..سارع الى صيانة سيارتك قبل أن تنفث دخانها.. في .. فضائي .

.. أخي المواطن ...اختي المواطنة

عمان جميلة .. فأستمتع بجمالها ....وأفخر بنظافتها

أمانة عمان الكبرى

مجلّة المنتدى

قسيمة اشتراك
في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في :
☐ مجلّة المنتدى
☐ مجلّة المنتدى + إصدارات عام ٢٠٠٤ (الكتب)

الاســـم : ....

العنوان : ....
....
....

قيمة الاشتراك*: .... **طريقة الدفع :** ☐ نقداً ....

بطاقة فيزا رقم : .... **تاريخ انتهاء مدتها :** ....

حوالة بنكية (صافي القيمة) ....

رقم الحساب : 610/8 - 0118/001769 (البنك العربي، فرع الشميساني؛ عمّان، الأردن)

التوقيع : ....

التاريخ : ....

تُملأ هذه القسيمةُ وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي :
منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)
عمّان ١١١٩٠؛ الأردنّ

*قيمة الاشتراك السنوي		المجلـــة	المجلة + الكتب
	داخل الأردن	للأفراد : (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	للأفراد : (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دينار أردني
	خارج الأردن	للأفراد : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دولار أمريكي	للأفراد : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي

المنتدى

مجلة فكرية ثقافية يصدرها مرّة كل شهرين

منتدى الفكر العربي

عمّان - الأردن

Al Muntada

A Biomonthly Cultural Magazine

Published by the Arab Thought Forum (ATF)

Amman - Jordan

إرشادات عامّة لكُتّاب المجلّة

- يشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
- يُرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
- يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر الى أية جهة أخرى.
- يُرجى من الكتاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس).
- يُقلّل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.
- يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عنايةً خاصّة.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدّم إن رأت ذلك ضرورياً.
- تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.

❖ الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربي.

منتدى الفكر العربي

ص.ب : ٩٢٥٤١٨

عمّان ١١١٩٠ - الأردن

تلفون : ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ (٦-٩٦٢+)

ناسوخ (فاكس) : ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

Arab Thought Forum

P.O.Box : 925418

Amman - 11190 Jordan

Tel : (+962-6) 5333261/5333617

Fax : (+962-6) 5331197

E-mail: *atf@nic.net.jo*

URL: *www.almuntada.org.jo*

سعر النّسخة : ديناران أردنيّان (ثلاثة دولارات أمريكية)